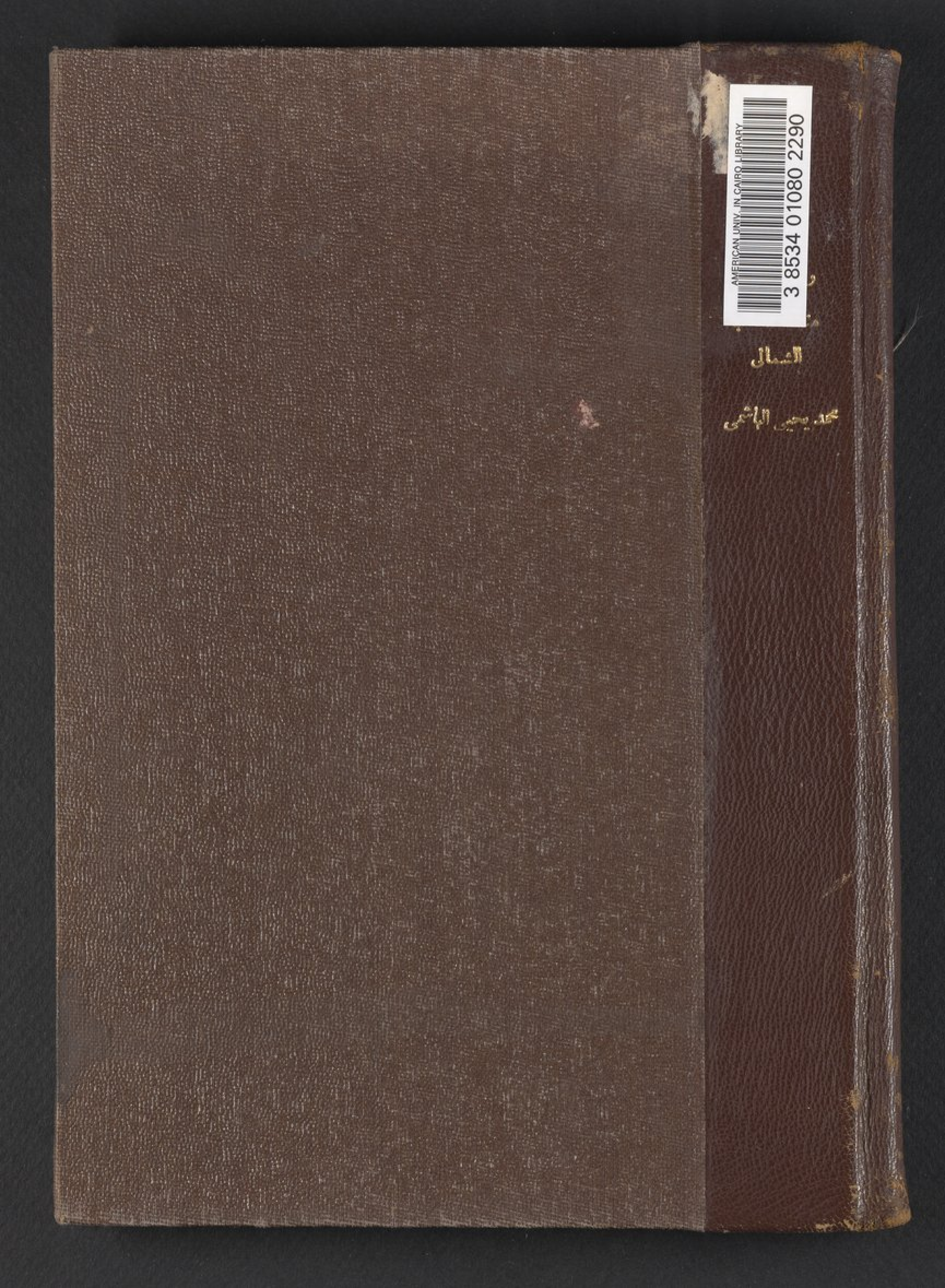

الشمال
محمد يحيى الهاشمي
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01080 2290


FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO
من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

الدكتور
محمد يحيى الهاشمي

رحلتي
إلى
منطقة القطب الشمالي

حلب ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

مطبعة السلام

الاهداء

الى ذلك المغامر الذي جاب الآفاق وغدا من المساهمين في التفاهم العالمي .

محمد يحيى الهاشمي

To that unknown who explored the immense world, and participated in the human mutual understandindg, I dedicate the memorandum of my tour to Norway.

Dr. MOHAMMED YAHIA HASCHMI
ALEPPO (SYRIA)

الفهرست

(١) ضبطت هذه الكلمة في النص على غير وجهها والصحيح كما هي في الفهرست

صحيفة

دوافع السفر

دوافع عديدة اضطرتني لزيارة منطقة القطب الشمالي :

الدافع الاوُل : معرفة اجدادنا الكرام في العصور الغـابرة لهذه البلاد رغم مشاق الاسفار وجهلنا اياها . فلقد اطلعت في بطون الكتب ان هناك كثيرين من رواد العرب اموا القطر الاسقانديناوي ، فأطلق الجغرافيون العرب القدماء لفظ صقالبة على جميع الشعوب الاوربية الشمالية . واول ما نجد هـذا التعبير عند الكندي فيلسوف العرب والعالم الطبيعي الفذ ، المعروف عند علماء الغرب والمجهول لدينا . نجد ايضاً هذه التسمية عند الجيهاني الذي عاش في القرن العاشر ، وعند ابن فضلان رسول المقتدر بالله احد الخلفاء العباسيين الى الديار الروسية الذي نجد طرفاً من وصف رحلته الى منطقة الشمال في كتابه القيم عن الجغرافيا الذي اكتشف اخيراً في مشهد (ايران)

ويضيق المجال ذكر جميع الجغرافيين الذين ينبئوننا عن مناطق الشمال ، ولكن ارى لزاما علي ان اذكر ما عثر عليه الباحثون اخيراً من وجود مسكوكات من عهد الخلفاء العباسيين في شبه جزيرة اسقانديناويا ويجد الانسان نماذج عنها في متحف برغن في النرويج . ويسمي البيروني في كتابه القانون المسعودي الذي طبع اخيراً في الهند البحر الذي هو في شمال الصقالبة بحر الورنج . ويشرح الاستاذ احمد زكي وليدي في مقال له قيم عن شعوب الشمال عند البيروني (١) بأن المقصود

---

(١) مجلة جمعية المستشرقين الالمان لايبزيغ ١٩٣٦ ص ٣٨ وما بعدهـا
Z. D. M. G.

بهذا البحر ، بحر النرويج ، ويصف الجيهاني بلاد الورنج بأنها البلاد الشمالية غير القابلة المرور ، فيكون هذا البحر المقصود هو بحر النرويج . وقد وصف هذا الجغرافي بلاد اللابلاند التي تعيش فيها قبائل اللاب ، فكان يقول عن تلك البلاد بلاد البلند وقد وصف الدمشقي شبه جزيرة اسقاندينافيا وما حوته من الآثار وصفاً دقيقاً ، وكان من المظنون ان هذا الوصف يكتنفه الغلو ، ولكن البحث والتنقيب العلمي اماطا اللثام عن كثير من الحقائق ، وكلما تقدم العلم كشف لنا حقيقة جديدة عن عزم اسلافنا الكرام .

لا اريد ان احيد عن الموضوع بل اريد ان اتكلم عن سياحتي ، ولقد اضطررت الى ذكر هذه النبذة التاريخية لأنها من اكبر الدوافع لزيارتي ذلك القطر النائي .

الدافع الثاني : القرابة الشديدة بين الفن العربي وفن الشعوب الشمالية الذي كنت سمعت عنه حين دراستي لآثار الفن العربي في متحف برلين ، بارشاد الاستاذ كونيل Kuehnel مدير المتحف الاسلامي هناك ، فقد بين لنا هذا الاستاذ ، وخاصة فيما له صلة بالتزيينات العربية ، القرابة الشديدة بين الفنين الاسلامي والشمالي .

نعم ان الاستاذ المذكور يؤمن باقتباس قد جرى من قبل الشعوب الشمالية ، ولكنه يبرهن على وجود روح فنية لها صلة بالروح الفنية الاسلامية قبل ولوج المدنية الاسلامية الى اوروبا ، ومن جهة ثانية فان الفن الاسلامي نظراً للحجج التي يدلي بها قد نما وترعرع في الشمال رغم بعد الشقة اكثر من نموه في باقي الممالك الاوروبية مثل اسبانيا وايطاليا .

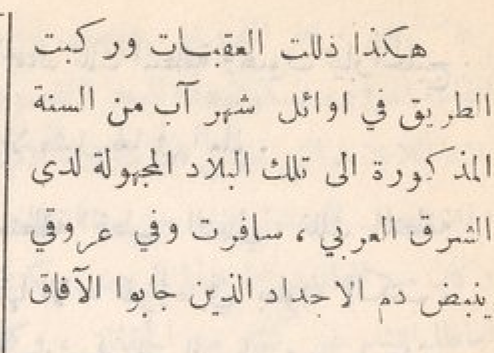
الدافع الثالث : احببت الاطلاع على تركيب الصخور في تلك المنطقة والحوادث الجيولوجية التي انتابت ذلك الصقع ، بعد ما علمت ان اسقاندينافيا كانت متصلة بشمال اوروبا وقد كان مضيق اسقاجاراق ـ الذي سوف نأتي على وصفه فيما بعد ـ براً . وهناك صخور ضالة في شمال اوروبا يزعم علماء الجيولوجيا انها اتت من اسقاندينافيا ، من اثر الجموديات الهائلة التي كانت في الدور الجليدي ، وغير ذلك .

اما الدافع الرابع : فهو ما سمعته عن جمال تلك المنطقة وهبوب تيار الخليج المكسيكي في الساحل والفجوات الغريبة التي لا مثيل لها في العالم .

هذا ما عدا دوافع حب الاطلاع لمعرفة منطقة القطب الشمالي ، تلك المنطقة البعيدة عنا معشر السوريين والتي لا نعرف عنها الا ما نقرؤه في بطون الكتب . واني اذكر بكل تواضع بأني (حسبما وصل الي من معلومات السواح وحسبما حدثني به سكان تلك المنطقة) اول سوري بـل اول عربي أمّ ذلك القطر في القرن العشرين . اما في القرون الخوالي فكما بينت في دوافع سفري فان هناك كثيرين قد أموه .

لم يصبح شوقي لرؤية هذه الارض عزماً اكيداً الا منذ عام ١٩٣٤، لأني كلما نويت نية صادقة للزيارة حال بيني وبين تحقيق امنيتي حائل ، ولم اتمكن من تنفيذ امنيتي الا في صيف سنة ١٩٣٧

نويت السفر الى النرويج في شهر تموز ، ولكن مجيء الكشاف السوري الى برلين الذي كان قاصداً السفر الى امستردام لحضور مؤتمر الكشاف الدولي أخر تحقيق امنيتي . وبينما كنت مصمماً على السفر علمت بواسطة دائرة السياحة النرويجية في برلين بأنني احتاج الى مبلغ قدره خمسون فرنكا فرنسياً ذهباً للتأشير على جواز السفر ، فوجدت هذا المبلغ باهظاً جداً ، وكنت على وشك تأخير سفري ، سيما وقد علمت ان الامم الباقية لا تدفع الا مقداراً زهيداً . وتعزو حكومة النرويج السبب في دفع هذا المبلغ ، لعدم وجود اتفاقيات بين النرويج وسوريا او اية علاقة ديبلوماسية ، بعد رفع الانتداب عن سوريا ، واعتبارها في نظر التشريع الدولي دولة مستقلة . واخيراً قدمت طلباً الى الوزارة الخارجية النرويجية بواسطة سفارتها في برلين راجياً تخفيض المبلغ ، فخفف الى النصف بصورة استثنائية على ان اقيم لمدة شهر كامل ، وحظر عليّ التفتيش عن العمل أياً كان نوعه .



هكذا ذللت العقبات وركبت الطريق في اوائل شهر آب من السنة المذكورة الى تلك البلاد المجهولة لدي الشرق العربي ، سافرت وفي عروقي ينبض دم الاجداد الذين جابوا الآفاق



المؤلف في برلين في طريقه للسفر الى هامبورغ يرافقه احد المواطنين السوريين

هامبورغ والبحر

ركبت الباخرة من هامبورغ اعظم ميناء المانيا يوم السبت في السابع من شهر آب عام ١٩٣٧ فتحركنا الساعة الثالثة بعد الظهر .



منظر عام لميناء هامبورغ Hamburg

كانت الحرارة مرتفعة والطقس جميلا جداً يندر وجوده في منطقة الشمال ، الباخرة تسير في نهر الالبة ، وكنا نرى كلا الضفتين بوضوح ، على احداهما مباني المدينة العديدة ، وعلى الاخرى المروج الخضراء . السماء صافية بلون رمادي رغم خلوه من الغيوم . جرت الباخرة اكثر من ساعتين ونحن لانزال في نهر الالبة . في الساعة السابعة اي بعد مسير اربع ساعات وقد قاربنا مصب النهر ، حيث كانت تظهر لنا منارة لاهداء السفن ، ازداد البحر في الزرقة واخذ الافق يحمر شيئاً فشيئاً ، وكلما زادت حمرة الافق ازدادت زرقة البحر .

اصبحنا الآن في عرض البحر ، اخذت الشمس تقترب من الافق رويداً رويداً ، ولكن دون ان تغوص في البحر ، كما اعتاد السائح رؤية ذلك في البحر الابيض المتوسط ، بل كانت الشمس تختفي بين الضباب الكثيف .

يوم الاحد ٨ آب : استيقظت صباحاً في الساعة الخامسة والنصف ، ولم تمض دقائق قلائل حتى طلعت الشمس ، وكان الجو صافياً ايضاً ، ولكن لم يلبث ان تلبد بالغيوم وتعكر . اننا في الواقع ما كنا نرى غيوماً حقيقية ، لان السماء كلها كانت رمادية قاتمة ، وهنا ادركت لماذا كان يسمي الأدريسي ذلك الجغرافي العربي الكبير الذي رسم خريطة العالم هذا البحر بحر الظلمات .

كان الموج قليلا جداً لدرجة انه لايؤثر في سير الباخرة ، وسرعان ما اختلف الجو فجأة ، وكنت اشعر بقليل من الرطوبة مع شيء من البرد ، وقد زالت تلك الحرارة التي كنا نتمتع بها في اليوم السابق .

كانت قبة السماء تدل على ان الجو سوف يتحسن قليلا ، سيما اذا نظر الانسان الى جهة الافق ، فكان يرى تلك الدائرة الافقية تنقشع عنها الغيوم تدريجياً ، وتنتقل من الدكنة الى اللون الفاتح .

خف الموج قليلا وسكنت الريح ايضاً ، اما الطقس فلم يزل بارداً ، واخذ الغيث ينهمر من السماء .

ظل اكثر ركاب الباخرة جالسين على الظهر لا يعبأون برذاذ المطر، وكانت الريح تهب من جهة الشمال، الجهة التي تمخر الباخرة نحوها. وفجأة ظهرت الشمس من جهة الجنوب جهة مؤخر سفينتنا، فكان لون السماء كما يلي: يكاد يكون كبد السماء صافياً، والقسم القريب من الافق من الجهة الجنوبية ملبداً بالغيوم التي اخذت تنقشع تدريجياً. وتكاد تكون الجهة الغربية صافية ليس فيها الاقليل من الغيوم، التي كانت في الجهة الشرقية اكثر، اما في جهة الجنوب البعيدة من الافق فلا تزال كثيفة عاتمة. وكثيراً ما كانت اشعة الشمس تنعكس من بين الغمام – تظهر ثم تختفي – وقد اخذت رقعة المساحة المضاءة بنورها تزداد بالتدريج.

ان هذا الاختلاف في وجه السماء يجعل الانعكاس في الماء ظريفاً ويكسب البحر رونقاً بديعاً. تدل الحالة الجوية على ان كل الغيوم التي في الافق سوف تتبدد عما قريب، لان مقدارها هناك آخذ بالتضاؤل.

وفجأة ظهرت الشمس واضحة في كبد السماء وكدنا نرى الحد الفاصل بين السماء القاتمة والبحر المتلألئ باشعة الشمس، في الوقت الذي كنا فيه لا نرى ذلك من قبل، وكان اللون اشد دكنة كلما اقتربنا الى الجهة الغربية.

هناك بجانب الغيوم الكثيفة غيوم صغيرة تسير بقرب قرص الشمس بسرعات مختلفة، وكانت تحجب الشمس احياناً عن الانظار اذا تكاثفت. كانت هذه الغيوم الفضية أشبه بسحب الصيف في المناطق الجنوبية. وكانت تهب للبحر منظراً خلاباً شديد التغير. فبينما نرى في بقعة من البقاع نوراً نرى في البقعة الاخرى ظلا، ولم نكد نتبين المنظر حتى نرى عكسه، اي في المكان الذي رأينا فيه النور نرى الظل مرة ثانية والعكس بالعكس. ان هذا التغير المستديم يجعل حالة الطبيعة بحركة مستمرة فلا يكاد المرء يرى المنظر ويمعن فيه اذ هو قد تغير.

ازداد الضباب في السماء فانحجبت بين آونة واخرى اشعة الشمس، او أتت الينا بصورة مخروطية.

مضيق اسقاجاراك : Skajarak بعد ان مررنا بجزيرة هلغولاند Helgoland ذات الصخور الناتئة « انظر الشكل » وصلنا مياه اسقاجاراك، تلك المياه التي جرى فيها في الحرب العالمية الاولى اعظم حرب بحرية عرفت في حينها ،



هلغولاند Helgoland جزيرة صخرية

وعلى الراجح ان قسما من البحارة النرويجيين قد شاهدوا الوقائع الدامية فقد كانت ترتعد فرائصهم عند ذكر تلك الحرب البحرية الهائلة التي جرت وقائعها بين انكلترا والمانيا . وقد ادرك الالمان اهمية هذا المضيق . فأول شيء قاموا به في الحرب العالمية الماضية هو غزو بلاد النرويج والسيطرة على هذه المياه .

لم نكد نقطع في هذا الممر البحري بضع خطوات حتى فاجأتنا الريح بقصفها واخذ البحر يرعد ويزبد ، وازداد الموج زيادة عظيمة ، واخذ يتلاعب في الباخرة كيفما يشاء ، يقيمها ويقعدها ، يرفعها ويخفضها ، واخذ الخوف يدب في ركاب الباخرة ، ورغماً عن كل ذلك فالسماء لا تزال صافية والغيوم قليلة ومعظمها ابيض ، والقاتم منها يكاد يكون قد تبدد .

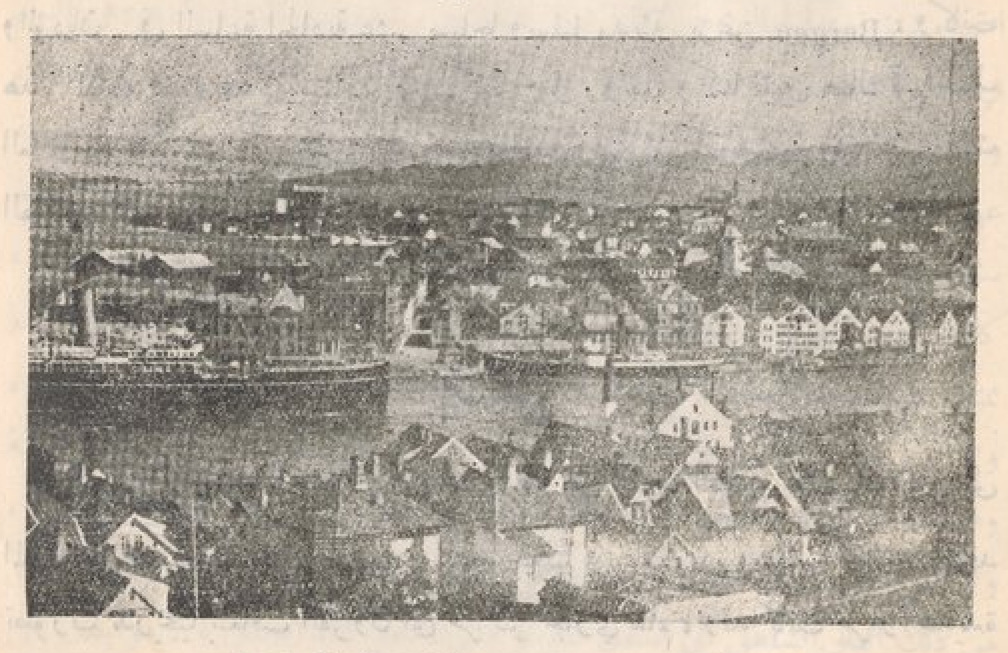
ولكن سرعان ما اخذت الريح تشتد والبحر يزداد اضطرابا ، واصبح اكثر ركاب الباخرة صرعى دوار البحر ، وقاسينا في ذلك المساء ما قاسينا ، وكانت بعدها ليلة ليلاء ، ورغم اني سافرت مراراً في البحر ، لم اعرف دوار البحر ، واكاد لا احتاج الى تناول الليمون ، فاني في هذه المرة قد انطرحت في فراشي لم يكن لي سوى امنية واحدة وهي ان القى في البحر فاصير طعمة للسمك ، واتخلص بذلك من هذا العذاب الاليم الذي لاقبل لي باحتماله ، ولكن لمن اشكو بثي وحزني وقد اصاب جميع الركاب ما اصابني ، فلكل امرئ يومئذ شأن يغنيه ، ولعل السبب في هذا الدوار الشديد اضطراب البحر العظيم الذي لم اشاهد مثله قبل الآن . وكثيراً ما كان موج البحر يضرب ضمن الباخرة نفسها ، وبينما تجد مقدم السفينة قد علا كالطود ومؤخرها يكاد ينغمر في الماء ، سرعان ما تنعكس الآية ، وهكذا يحدث في الجوانب ما يحدث في المقدم والمؤخر ، ولعل تناول كميات زائدة من الزبدة التي كنا محرومين منها في المانيا هو الذي زاد في الحالة سوءاً . ظل ركاب الباخرة ساعات على هذه الكيفية وموظفوها يتفقدون احوال المصابين وهم بدلا من ان يشفقوا لحالهم يسخرون منهم ، لانهم لايعلمون كيف يصاب الانسان بهذا الداء ، وكانوا ينصحون المصابين بلزوم الاستلقاء ، واذا كانت المعدة فارغة تناول قليل

من الطعام واخذ شيء من الليمون والشاي .

ظل البحر باضطراب وركاب الباخرة على هذه الكيفية الى ان اجتازت الباخرة ناحية المحيط الاطلسي ، وذلك في اول خليج نرويجي عندها سكن البحر وتحسنت بذلك حالة الركاب .

الوصول الى النرويج

اول ميناء نرويجي : في منتصف الليل تماما وصلت مدينة ستافنغر Stavanger اول ميناء في بلاد النرويج . فبعد ان فتشت جوازاتنا السفرية وامتعتنا نزلنا الباخرة ومشينا في الطرقات ، فكنا نرى مدينة في سفح جبل تكاد تشبه القرى الاوروبية ، بيوتها معلقة ، ولقد اردنا الجلوس في مقهى ، ولكن لم نر أي مقهى فاتحاً في هذا الوقت المتأخر من الليل ، ولما سألنا عن السبب ، اجابنا سكان المدينة بأن شرطياً عثر على شخص بحالة سكر في احد الشوارع ، فاصدرت الحكومة من اجل ذلك



ستافنغر Stavanger اول ميناء نرويجية

امراً باغلاق جميع المقاهي والملاهي بعد الساعة العاشرة من الليل . بعد ان يئسنا من الحصول على مقهى مفتوح اخذنا نتأمل الشعب النرويجي ، وخصوصاً قرب الباخرة ، حيث كان يصعد ركاب جدد بقصد السفر يرافقهم بعض المودعين ، وينزل ركاب آخرون انتهى بهم السفر الى هذه المدينة ، ويأتي لملاقاتهم المستقبلون وكان المنظر الخارجي لهذا الشعب يدل على انه وديع ولطيف .

الاثنين ١٩ آب : عندما تركنا مدينة ستافنغر كان البحر هادئاً ولم نشعر بشيء يعكر علينا صفونا ، وبعد ان اقلعنا عن هذه المدينة مدة ساعة تقريباً استسلمنا للنوم الهادئ اللذيذ، ولم نستفق الا في صباح يوم الاثنين في الساعة السادسة .

ورغم ان البحر كان هادئاً فقد كان الطقس مضطربا جداً، يذكرنا بتلك العواصف التي شاهدناها ونحن نمر بمياه اسكاجاراك ، والسبب في هذا الهدوء النسبي ان الباخرة تشق طريقها بين الخلجان ، فكانت الامواج تتبدد في تلك المنعطفات وتتكسر على الصخور الهائلة .

والمناظر هنا تشبه مناظر جزر اليونان ،فكنا نرى جزراً مبعثرة مليئة بالجبال والوديان . في الساعة الحادية عشر صباحا وصلنا مدينة برغن Bergen ، وكانت هذه المدينة اشبه بمدينة ستافنغر، ولكنها اجمل رونقاً، وكنا نتبين هناك قمم الجبال العالية المحيطة بالمدينة، ونظراً لاهمية هذه المدينة في البلاد النرويجية وفي تاريخ ذلك الصقع ، فاني ارى لزاماً علي ان اقول كلمة عنها :

برغن

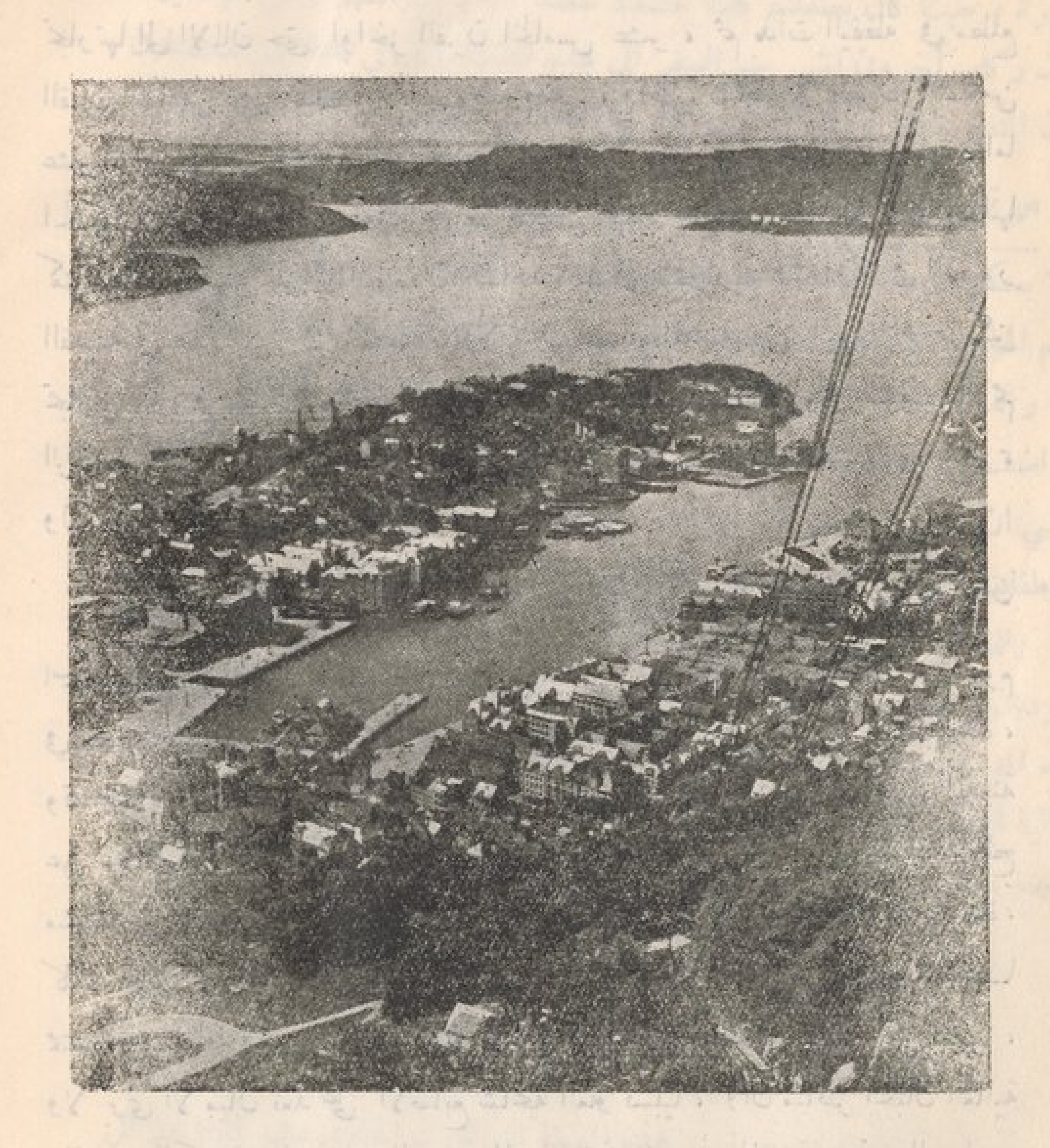
تاريخها : (١) يرجع تاريخ هذه المدينة الى القرن الحادي عشر الميلادي الى الملك اولاف كيره Olave Kyrre الذي جعلها في عام ١٠٧٠ مدينة تجارية ، وقد تطورت تدريجياً بتعاقب القرون الى مركز تجاري هام ، وقد كانت مراراً عديدة

(١) أخذت هذه المعلومات من أدلة المتاحف

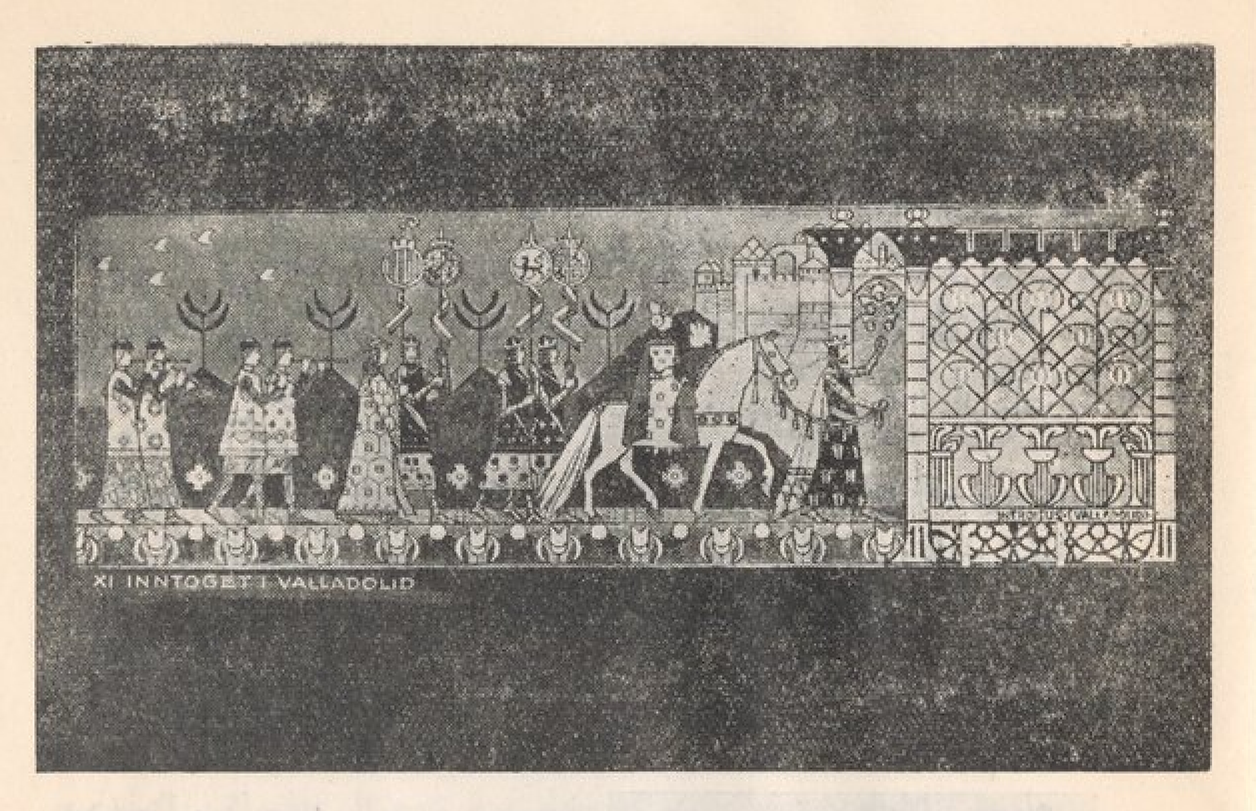
عاصمة البلاد ومقر التاج الملكي ، وكانت تجارتها في القرن الثاني عشر والثالث عشر في ايدي الالمان ، واهم مادة يتاجر بها هو السمك في القديم كما هو الحال في الحديث اذ يشاهد الانسان مخازن عظيمة معدة لتصديره الى العالم ، وقد بقيت الزعامة في تجارتها الى الالمان حتى اواخر القرن الخامس عشر ، ثم بدأت اليقظة في مطلع القرن السادس عشر تدب في الشعب النرويجي ، واظهر نشاطه في القرن الثامن عشر ، وما اتى عام ١٧٦٤ حتى تلاشى آخر مركز تجاري لالمانيا في برغن ، اما الحكومة النرويجية فهي محافظة على مراكز هذه التجارة القديمة وقد جعلتها كمتاحف ، ويتسنى للزائر اليوم ان يشاهد الطرق التجارية المتداولة في العصور القديمة في هذه المراكز القديمة ، ولا تزال هذه المدينة حتى اليوم اهم مركز تجاري للنرويج مع البلاد الخارجية ، ويرى السائح البواخر العديدة لمختلف الامم الراسية في مينائها ، وقد ظلت عاصمة البلاد حتى منتصف القرن السادس عشر ، ولكنها تنازلت بالزعامة الى أوزلو .

موقعها وطابعها : وتقع هذه المدينة اي « برغن » على سبعة جبال وان اسمها مشتق من الجبال وهي كائنة فوق شبه جزيرة متجهة الى الشمال ، وهي اليوم في مقر المدينة القديمة ، ولكنها لم تقف عند هذا الحد ، بل نمت الى جهات عدة ، وتسلقت مبانيها حتى الاماكن العالية في الجبال . اما الطابع الذي يميز هذه المدينة عن غيرها هو ان الفن المعماري فيها غير محافظ على الميزة القومية التي اعتاد السائح مشاهدتها في باقي البلدان النرويجية ، بل يرى فيها طراز معمار شعوب عديدة ، كانت بتماس تجاري مع هذه المدينة العريقة ، ورغم ان سكانها قليلو العدد فانها ممتدة على مسافة واسعة ، لأن البناء محدود الطبقات ومنفصل بعضه عن بعض ، ولا يُرى الا مبان تعد على الاصابع شامخة العلو نسبياً ، وان مناظر الجبال العالية والغابات الكثيفة والفجوات العديدة المتداخلة تجعل هذه المدينة هدف السواح ، وان الركوب في الحافلة الكهربائية وهي تتسلق الجبال بواسطة الاسنان والنظر من ذلك العلو الشاهق الى اسفل المدينة والى البحر المتداخل ، وهو يطلّ على منظر بديع جداً ليأخذ بمجامع القلوب .

منظر مدينة برغن Bergen من الجبل المطل عليها



وقد أخذ هذا الرسم من الحافلة أثناء تسلقها الجبل بواسطة الاسنان



الرسوم التزيينية النرويجية ↑

كنيسة فانتوفت ستاب في برغن ←

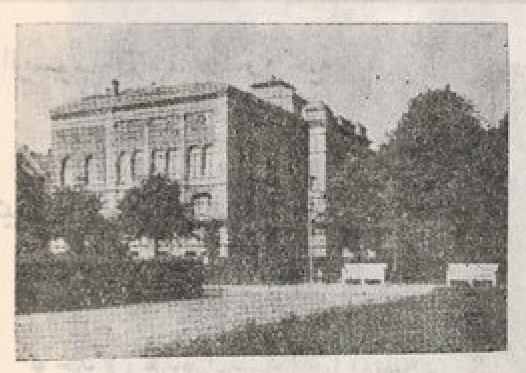


يوجد في هذه المدينة احياء مبنية من الخشب فيها تزيينات خاصة ، ومما يجلب دقة نظرنا وجود تزيينات تذكرنا بالتزيينات العربية المعروفة بالارابسك ضمن كنائسها ، وخاصة في الكنيسة المعروفة باسم (فانتوفت ستاب ، - Fantoft Stab) أما ما يجدر رؤيته في هذه المدينة فهو :

قاعة هوكن : Haakon التي بنيت عام ١٢٦٠ و كانت مقر التتويج للملوك النرويجيين القدماء . وقد جدد بناؤها في العصر الحاضر وزينت من قبل الرسام النرويجي الشهير (غرهارد مونت Gerhard Monte) وبجانب هذه القاعة البرج المعروف ببرج الاكليل الوردي الذي بني في القرن السادس عشر ، وهو متصل مع بناية قاعة التتويج ، ويشكلان جزءاً من السور القديم المبني حول المدينة القديمة .

متحف التجارة : يوجد كذلك متحف عرف باسم متحف التجارة القديمة (هانسا Hansa) ويمثل هذا المتحف طراز المعيشة القديمة والمعمار القديم ، ففي الاسفل مخازن البضائع ، وفي الطابق الاول غرف الطعام ونماذج البضائع المعروضة للبيع والمكاتب التجارية وفرش النوم الشتوية ، وفي الطابق الاعلى غرف النوم الصيفية وقاعات الحفلات ، وهذا المتحف يمثل تماماً الحياة التجارية للجاليات الالمانية في بلاد النرويج في العصور الخوالي .

المتحف الفني : على ضفة النهر المعروف بنهر ليل لونغيغارد (Lille Lungegaard) يقوم المتحف الفني الذي يحوي نماذج عدة من رسوم وتماثيل عائدة لفنانين نرويجيين ، وقد أتيح لي ايضاً ان اشاهد هناك معرض



متحف الفنون في برغن

الفن ، واطلعت ايضاً على رسوم حديثة لفنانين عصريين ، والذي كان يجلب دقة النظر هذا التفاوت العظيم في الالوان بين النور الشديد والظلمة القاتمة ، ولم يكن معرض الفن الذى شاهدته مقتصراً على الفنون النرويجية ، بل يحتوي على عامة الفنون الاوروبية ، ومما يؤسف له ان الفنون العربية لم يكتب لها اي حظ لتمثل هناك ، وان اهم ما اطلعت عليه في هذا المعرض ، مجرى الفن الالماني وخاصة تلك الحركة المعروفة بالحركة التعبيرية التي لا تتقيد بقواعد الفن الكلاسيكية المعروفة بل

تترك للفن الحرية في التعبير ، وكثيراً ما تجعل القريب بعيداً ، والبعيد قريباً ، او قد تخلط الالوان بعضها في بعض فتكون غامضة نظراً للحوادث النفسية الانفعالية المنبعثة من روح الفنان ، وهي حركة طال حولها النقاش ، من مؤيد لها ومن منكر لها اشد الانكار ، وبزعمي ان هذه الحركة تشبه الى حدما الحركة الادبية السريالية او فوق الواقعية ، اي غير متقيدة بقواعد الواقع (١) ، ولسنا هنا في معرض الكلام عن التعبيرية في الفن او السريالية في الادب ، ولكن قد اتاحت لي الفرصة هنا ، اعني في معرض برغن الفني ، الاطلاع على هذا التيار الغامض والثوروي في آن واحد ، لانه ثورة على قواعد الفن الهندسية المعروفة وانطلاق للنفس في اختلاجاتها المبهمة وتعابيرها الغامضة ، وقد كان ارباب الفن من هذا التيار ينتمون الى احزاب تضاد النازية في المانيـا ، لذلك فقد قضى عليها زعيمهم هتلر ، ومنع عرض رسومها ، مع انه كان قد خصص لها ردهة خاصة في المتحف الفني في برلين قبل استلامـه الحكم ، لكني لم انتبه الى قيمتها الفنية الا بعـد زمن ، وقـد حاولت في متحـف هامبورغ الاطلاع عليها وكان هناك ردهة خاصة تؤدي الى نماذج الفن التعبيري ، ولما دخلتها أخرجت منها بعنف ، وسألت السبب فاجبت بان الزعيم منعـها ، ولمـا طرحت سؤالا آخر عن سبب حفظها في المتاحف وعدم عرضها للجمهور ، أجاب القائم على المتحف : بأنها تحفظ للتاريخ كوثيقة هامة عن مدى تدهور الذوق الفني في المانيا قبل استلام الزعيم الحكم ، وكمستند للاصلاحات الفنية ، أمـا عرضهـا للجمهور فمحظور لعين السبب .

في معرض الفنون الجميلة في برغن رأيت جلياً القرابة الشديدة بين تيار خاص من تيارات فنون الشمال وبين الفن الاسلامي ، وذلك في تلك الاتسامات (Motives) المتكررة ، ولم يتضح لدي حتى الآن المقتبس والمبتكر منها ، واني ادعو المهتمين بتاريخ الفنون ان يجلوا هذه النقطة الغـامضة . ويعتقـد الاستاذ كونيل الذي

---

(١) راجع ما حرره عن هذه الحركة السيد اورخان ميسر في أثره « السريالية » حلب ١٩٤٦

نوهت عنه عندما تكلمت عن دوافع سفري ، أن القرابة بين الفنين هي أعظم مما نتصور ، وذلك نظراً للقرابة الشديدة في طراز الحياة بين الشعبين على زعمه ، وان يكن هناك اختلاف، ولكن الاختلاف عرضي لا جوهري . فالعربي كما ينوه كونيل بذلك يعيش في الصحراء ويرى صوراً رتيبة مملة، وهذا ما أفضى به، على رأي من اشتغل في تاريخ الحضارات الى التفتيش عن سر الخلود في الكون، وكذلك الأمر في شعوب الشمال التي تعيش في المناطق الجليدية الباردة ، ولا أريد ان اتوغل في هذه المشكلة الفنية التي هي ليست من اختصاصي ، بل أترك حلها لارباب الاختصاص .

بعد ان تركت هذه التزيينات الرتيبة التي تبحث عن الايقاع في الفن ، أتيت الى فن التصوير المستمد من طبيعة البلاد البارزة امامنا باشكالها وألوانها المتباينة ، وانا لنفقد معنى الانسجام الذي اعتدنا رؤيته في باقي الرسوم الاوروبية ، لدى اطلاعنا على مثل هذه الرسوم ، فالرسوم النرويجية لا تظهر امامنا الا متضادة بين الظلمة الكئيبة والنور المفرح ، بين الهزل في الحياة والجد القاسي الرزين ، وفي الحقيقة اننا اذا دققنا الرسوم بامعان تتراءى لنا انها أقرب الى الحزن والكآبة - مع الاعتبار - منها الى البشر والسرور .

في هذه الزاوية رسم امرأة تقف امام البحر تفكر في الطبيعة العابثة اللامتناهية ، وأخرى تقف بين الصخور الجرداء الجبارة ، اما صور الجماعة فتكاد ترى ثقل الحياة قد أقصم ظهورهم . كل الصور التي اراها حولي يغلب عليها مسحة الجد والرزانة مع تطاحن القوى . اذا نظرنا اليها بصورة سطحية نخال ان الخيال رائدهم في الفن، ولكن لدى الامعان نجد ان هذا الخيال في الحقيقة ضرب من طبيعة البلاد التي تكثر فيها الثلوج والضباب الكثيف في تلك المناطق التي يطلق فيها للتصور العنان في الابتكار . هنا طفل يقف في سفح جبل يلعب مع الطير وراء اجمة كثيفة وخلفه الجبال الشاهقة ، لا نرى ذلك المرح في تقاطيع وجه الطفل الذي اعتدنا رؤيته عند سائر الرسامين في العالم ، حتى اننا لا نجد تلك الخلاعة والمجون الطبيعي في رسم الراقصة المستهترة التي اراد الرسام تصويرها،

فمن بين حركاتها الرشيقة نقرأ علائم الجد ، حتى ان حفلة العرس لا تخلو من متاعب الحياة .

ان التنافر في الألوان هو رائد الرسام النرويجي ، كما رأيت ذلك في هذا المعرض ، ومع ذلك فللرسوم جاذبيتها الخاصة ، تدعك تشعر كأن مغناطيساً خفياً يجذبك اليها ، نرى ذلك جلياً في الصورة التي تمثل فرح الطبيعة وعصف الرياح ، وفي الفتاة المتزينة بطابعها الرزين الثقيل ، حتى ان سيماء الاعتبار نجدها في صورة السيدة التي تشم الزهر ورب المنزل الذي يقف في حديقته ، والطفل الصغير الذي يغتسل ، والأم التي تداعب اولادها ، والعجوز التي تصلي في كنيستها ، والحسناء التي ترتدي ملابسها الفاخرة لمنافسة اترابها ، واني لا أكاد أرى رسم بحر هادىء ، فان جل الرسوم التي شاهدتها يرعد فيها البحر ويزبد وتتلاطم امواجه فوق السفن والصخور ، ولا أدري السبب في هذا الاضطراب في الفن الشمالي مع انه تبين لي في فرص عدة ان النرويجي من الشعوب الساكنة الصدور المطمئنة النفوس .

المتحف الكبير في برغن :

ان المتحف الكبير في برغن هو المتحف المعروف بمتحف برغن ، شيد أمام نصب تمثال مؤسسه الرئيس كريستي ، وفي الأسفل تمثال الأسد النرويجي .

متحف برغن

يقسم هذا المتحف الى قسمين : القسم الطبيعي ، والقسم التاريخي . فالقسم الطبيعي يحتوي على نماذج عديدة من حيوانات ونباتات وخاصة تلك التي تعيش هناك ، وكذلك مجموعة جيولوجية من صخور تلك المنطقة والمستحاثات التي عاشت وتعيش هناك ، فنماذج لصخور رسوبية متعددة ، وكذلك اندفاعية واخرى متحولة

اي من الصخور المعروفة بالصخور البلورية التي شاهدناها فيما بعد في المنطقة الجبلية الكائنة بين هذه المدنة والعاصمة النرويجية ، كذلك نماذج عدة عن جزيرة شبيتس برغن ومستحاثات نباتية لتلك الجزيرة الجليدية من الفصيلة الصنوبرية والنباتات القلمية والمفصصة والسرخسية التي كانت تعيش في منطقة القطب الشمالي ، ثم كذلك وجود الحيوانات البرمائية اي التي تعيش في البر والماء ، كذلك وجود العقارب قديماً وبعض الحشرات لدليل واضح على ان هـذا الاقليم كان في الدور الفحمي من الحقب الثاني حاراً على خلاف ما هو عليـه اليوم . وقد كنا نشاهد في المتحف ايضاً كثيراً من الصخور التي تشبه الصخور الضالة الموجودة في شمالي المانيا مما يستدل به علماء الجيولوجيا على اتصال هذا القـطر بذاك . اما الصخور البلورية المتحولة فهي كثيرة ، وقد كنا نجد نماذج مختلفة عن الميكاشيست بلونها الفضي اللامع وتطبقها المتراص التي احضرت معي نموذجاً منها عندما تسلقت الجبال فيما بعد ، وهي دليل على حركة تكتونية هائلة حدثت في الاحقاب الجيولوجية ، ومن الحيوانات التي لا تزال حية في زماننا الحاضر نشـاهد نماذج مختلفة من الاسماك والحيتان والطيور ، ومن النباتات مجموعة من الازهار المتباينة .

ان القسم الثاني : هو القسم التاريخي وقد افرد له اخيراً بناية جـديدة خاصة خلف البناية الأساسية، وان هذا القسم مصنف حسب تتابع التاريخ ، وتعطينـا النماذج الموجودة صفحة صادقة عن تاريخ هذه البلاد عبر القرون المديدة .

وأهم مجموعة موجودة في هذا القسم الرحلات الوكينية Wiking وهو الشعب الاسقانديناوي الرحال الذي عرف في القرون الوسطى ، وعلى ما يقال انه التقى بالسواح العرب في اماكن عدة ، فكنا نشاهـد نمـاذج عن ملابسهم وأسلحتهم وكيفية معيشتهم وسفنهم، وصوراً متعددة عن رحلاتهم ، وان قصص هذا الشعب الرحال هي اشبه بقصص السندباد البحري عندنا ، وفي المتحف تلميحات على ان هذا الشعب وصل اميركا عن طريق التيارات البحرية قبل كريستوف كولومبس ودون ان يعرفها قارة جديدة .

وفي المتحف التاريخي ايضاً فرع للحضـارة ، مثل صور الكنائس القديمـة

والبنايات المختلفة والازياء القديمة وهذه الاخيرة مقسمة على المقاطعات ، كما يوجد قسم خاص لحياة الاسكيمو .

في القسم المخصص لحياة الاسكيمو (سكان جزيرة غرونلاند) كنا نشاهد نماذج عن اولئك الاقزام الذين يعيشون في بيوت مغطاة بالجليد وهي أقرب الى الكهوف منها بالمنازل الحقيقية ، ويتخذون الزحافات على الثلج ، الخفيفة والسريعة الجري التي تجرها الكلاب، وسائط تنقلاتهم . أما الكلاب ذاتها فهي من عرق خاص تتحمل تلك البرودة قانعة بقليل من العيش وصابرة على الشدائد والاتعاب بصورة مثالية .

ولهؤلاء الاقزام نوع من القوارب عرفت باسم كاياك Kayak وهي عبارة عن قوارب صغيرة قابلة للطي ولها سقف مائل تساعد على سيل المياه منها ، وهي مقرنة الامام والخلف مما يساعدها على شق طريقها في الماء . ومن الغريب ان يذكرنا الاسم الاسكيمي « نسبة الى الاسكيمو » للقارب بالكلمة التركية « قاييق » مما يدل على ان هذا الشعب هو من اصل اسيوي مهاجر ، اما بشرتهم فسمراء رغم انهم يعيشون في منطقة شمالية جداً ، ولون شعرهم اسود ، وتحب نساؤهم ان تلمع شعورها بالدهون ، وتجعل منه ضفائر وعقداً . أما الحيوان الذي يلعب دوراً عظيماً في حياتهم فهو « الفوك » ويسمى ايضاً « كلب البحر » . فأهميته أعظم من أهمية الغنم للبدو عندنا . فيتغذون بلحمه ، ويشربون دهنه ليقاوموا ذلك البرد الشديد ، ومن جلوده يصنعون ملابس ومناطق ، ويفرشون بها قواربهم من الداخل ، ويستعملونها ايضاً لسقوف اكواخهم ، ومن عظامه يصنعون بعض الزحافات والاسلحة ، وغيرها من الادوات . حتى انهم ينسجون من امعائه أقمصة كتيمة للماء تدفع عنهم غائلة الرطوبة . وتدل النماذج المعروضة على ان الاسكيمو محب للعمل قنوع في مأكله ومشربه ، مجد شجاع ، مقدام تجاه المخاوف والاخطار .

ان الناموس السائد عندهم ، كما نستدل ذلك من النماذج المعروضة وتقارير السواح ، التعاون ، ويكاد لا يعتدي احد على احد ، ورغم انهم يعيشون عيشة

هي أقرب الى الحياة البدائية منها الى حياة حضرية منظمة ، فان السرقة يكاد لا يعرفها احد و كذلك القتل . ولعل تجنب هذه الرذائل ، ناجم من قلة عددهم وجهادهم المستمر مع تلك الطبيعة القاسية، الذي يضطرهم ان يتعاونوا مع بعضهم بعضاً بدلاً من ان يتخاذلوا و يتناحروا . ولقد استفاد منهم رحالة الاقطاب في تبديل وسائل حلهم وترحالهم في تلك الاصقاع الوعرة المستعصية ، لأن اكتشاف كلاب الاسكيمو قد عمل انقلابا في تسهيل التوغل في المنطقة القطبية ، وكذلك اتخاذ القوارب على شكل قواربهم قد أفادهم كثيراً . ولا ننسى ان نوع القوارب التي تتخذها الاسكيمو قد أفادت في ايجاد نوع من القوارب الرياضية في اوروبا كانت غير معروفة من قبل . أما من أمعاء « الفوك » فقد تعلم العالم الاوروبي صنع نوع من الحقائب الخاصة .

وفي قسم هذا المتحف ايضاً ما يحتاجه سكان هذه الجزيرة الجليدية من الديار الاجنبية وما تصدره الى الخارج . و كذلك البعثات التي أرسلت اليها وتاريخها وغير ذلك .

يوجد ايضاً معرض خاص للصناعات النفيسة ، وهو امام حديقة المدينة ، وفيه من الصناعات : كشغل الابرة والتطريز وغير ذلك مما هو مشهور في ذلك الصقع .

ومما شاهدناه في تلك المدينة ايضاً الكنائس المختلفة، ودار الحكومة والفنادق المتباينة ، والشوارع الواسعة . وقد تسلقنا الجبال ، ومكثنا بضع ساعات نمعن النظر في المناظر الخلابة ، وسط الغابات المرتفعة وفي ذلك السكون الهادئ الجميل .

وانني في الحقيقة لم اشاهد جميع ما دونته عن برغن دفعة واحدة ، بل عند رجوعي منها ايضاً بعد ان عدت من سفري من شتالهايم ، وبعد عودتي من النوردكاب تلك النقطة الكائنة في اقصى الشمال ، فأكون بذلك قد شاهدت هذه المدينة ثلاث مرات ومكثت فيها بضعة ايام، وهكذا فانني تعرفت عليها جيداً اكثر من اي مدينة نرويجية اخرى .

في النرويج الداخلية

الطريق من برغن الى فوس: بعد ان تجولنا في اطراف المدينة ركبنا القطار في اتجاه اوزلو عاصمة النرويج قاصدين مدينة فوس . كان الطريق يشبه احياناً جبال الهارتس في شمال المانيا ، واحياناً الغابة السوداء منبع نهر الطونة ؛ اي كانت الجبال مكسوة بالاشجار البرية ، المتكاثفة حيناً والمتفرقة بعضها عن بعض حيناً آخر . وكانت كل الاماكن التي تمر بها في القطار جبلية وعرة ، وكان الجو مملوءًا بالضباب ومختلفاً بين المطر الغزير والرذاذ والصحو . اما الطقس فيكاد يكون معتدلاً مثل صيف المانيا اي يشبه الخريف في سوريا ، وفي بعض الاوقات كان الطقس اقرب الى الشتاء منه الى الصيف ، رغم اننا كنا في شهر الرمض والقيظ ، وقد كنا نشاهد الفواكه متأخرة ، فقد بدأ التفاح بالنضوج ، وكذلك الكرز في حين ان هذه الفاكهة الاخيرة قد انقضى اوانها في المانيا .

مرّ القطار بجانب الفجوات المعروفة بالفيورد ، وهي خلجان طويلة تدخل في اراضي النرويج بصورة عميقة جداً ، وكنا نرى هذه الفجوات المتعددة ترافق الانسان في هذه الديار في اكثر الاسفار البرية التي تزيد في روعة هذا القطر ، وفي اثناء مرورنا لم نشاهد اشجاراً ضخمة ، وقد قيل ايضاً ان الاشجار العظيمة نادرة الوجود ، وقد مرّ القطار ايضاً في هذه المنطقة الجبلية في انفاق عدة .

كان الضباب كثيفاً جداً ولم يقتصر على قمم الجبال بل امتدّ حتى الوديان وتابع سيره حتى لامس الفجوات . كانت مناظر الفجوات اشبه بألمانيا من منطقة بافاريا العليا مثل برشتسكادن وهي بحيرات في سهول فسيحة حولها الجبال الشاهقة المكسوة بالثلوج . اما الفرق بين منطقة بافاريا العليا وهذه هو ان الفجوات هنا ذات امتداد دائم ، وهي تشبه الى حد ما البحيرات هناك ، ولكن لا نرى في مثل هذه المناظر أي بحيرة مغلقة ، كأنه لا يوجد الا بحيرة واحدة ، لا أول لها ولا

آخر ، تكتنفها الجبال البديعة المستورة بالأشجار الخضراء ،يضيء من فوقها بياض الثلج، سيما اذا انعكست اشعة الشمس عليه. يرى الانسان في منطقة بافاريا سهولاً عدة ، اما هنا فلا تقع العين على أرض سهلة ابداً ، فمن هضاب الى جبال متوسطة العلو الى جبال عالية جداً .

يوم الاثنين ١٩ آب: في الساعة السادسة من هذا اليوم وصلنا مدينة فوس Voss ، وهي في منتصف الطريق بين برغن واوزلو . فوس مدينة صغيرة



منظر فيورد Fjord لجوة نرويجية

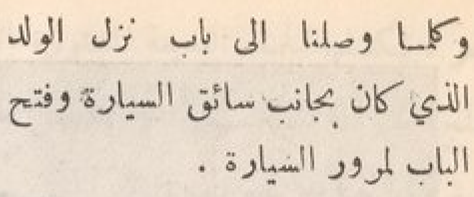
يكتنفها جبل تراءى لنا بلون ازرق دكن قريب الى البنفسجي ، وكنا نرى وراءه غيمة كبيرة فكان منظراً بديعاً غريب الشكل واللون ، وان وضوح بياض السحابة



مدينة فوس Voss

الممتدة وراء المدينة مما يزيد فى حلكة اللون البنفسجي وشدته ، وعندما وصلنا الى المدينة ركبنا سيارة اقلتنا الى مكان يدعى شتالهايم .

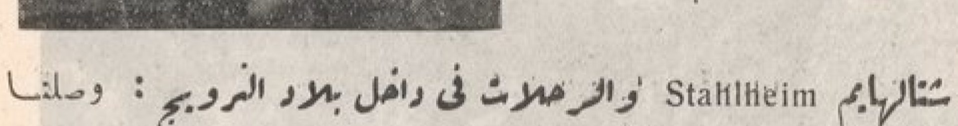
الطريق بين فوس وشتالهايم : كان الطريق مملوءاً بالفجوات التي تكتنفها الجبال المرتفعة وتنهمر المياه من اعاليها ، وكنا نمر على ابواب مغلقة ، وكلما وصلنا الى غابة جديدة نشاهد باباً كبيراً مغلقاً لمنع تسرب الظباء الوحشية اليها .



وكلما وصلنا الى باب نزل الولد الذي كان بجانب سائق السيارة وفتح الباب لمرور السيارة .

لا تشبع العين من مشاهدة المناظر الخلابة على جانبي الطريق وتمنيت لو ان اياماً مضت دون ان نهتدي الى الهدف ، وكنا نمرّ من جبل الى واد ومن واد الى جبل الى ان وصلنا الى شتالهايم المكان المقصود .

قروية من سكان القرى الكائنة
بين فوس وشتالهايم ←



شتالهايم Stahlheim والرحلات في داخل بلاد النرويج : وصلنا شتالهايم في الساعة السابعة والنصف مساء ، وهو عبارة عن فندق واحد فقط في مكان مرتفع تحيط به مناظر الجبال العالية. ويتدفق من بين الوديان بعض الينابيع على شكل شلال ، ورغم ان الجبال لم تكن عالية فان تأثيرها كان قوياً وجذاباً ، وقد كان الطرف الخلفي من



فندق شتالهايم Stahelheim

الفندق ذا منظر خاص ، يشاهد الانسان الجبال الضخمة المحدبة القمة التي تكاد تكون خضراء ، وفيها بعض الاشجار الصغيرة .

ان عيني لم تقع على منظر اجمل من هذا ، وقد اخبرني بعض الزائرين في الفندق ممن عرف سويسرة جيداً ، بانه لم ير مثل هذا المنظر هناك ايضاً .

كان هذا الفندق نظيفاً ، اما اكثر زائريه فكانوا من الانكليز والامريكيين وقليل من الفرنسيين والالمان . كان الجو رطباً بارداً لدرجة انه لا يستطيع المرء التنزه دون معطف غليظ ، اما الليل فقد كان بارداً جداً ، ومع ان نافذة غرفة النوم في الفندق كانت مغلقة ، فقد كنت اشعر بهبوب شيء من الهواء الرطب البارد من خلاياها ، ولكي ينام السائح دون ان يبرد يحتاج الى لحاف من الصوف غليظ ، هذا طبعاً في ايام الصيف ، فكيف الطقس يا ترى في الخريف بله الشتاء .

الثلاثاء ١٠ آب : استيقظت صباحاً في الساعة السابعة ، كانت الشمس محجوبة كعادتها فى هذا الاقليم بين الغمام ، اما اشعتها فكان يصل الينا منها قليل . وكانت الغيوم مختلفة المناظر والالوان بين الابيض والرمادي . وعندما نظرت خلف الفندق في الصباح تبين لي ان الوادي لم يك مستقيماً كما كنت اظنه عند المساء بل متعرجا مما يزيد في حركة المناظر وفعاليتها .

١ — **نزهة الى يوردان تال Jordantal** : انتظرت في الساعة التاسعة صباحا اثنين من المسافرين يودان الذهاب معي الى مكان يدعى « يوردان تال » وهو يبعد ساعتين تقريبا عن محل اقامتنا .

تركنا الفندق متجهين نحو الوادي ، فكنا ننحدر بحذاء شلال منهمر كان له دوي هائل . كان الطريق وعراً جداً تكثر فيه الصخور الغرانيتية القاسية الجبارة التي يجد فيها الانسان حدوث التآكل والتحول الى الميكاشيست مما يدل على حركات تكتونية هائلة ، ولا عجب ان نرى هناك الاراضي منبتة خصبة

لان الاتربة المفتتة من تلك الصخور تكون غنية بالقلي (البوتاس) تلك المادة التي يحتاج اليها النبات في نموه ، لذلك فالاعشاب الخضراء لا تفارقنا، للمياه الغزيرة الموجودة هناك وللتربة الانباتية الغنية . اما ما يجلب النظر فهو كما بينا عدم سمو الاشجار ذلك الشيء الذي كنا نشاهده دائما في تلك المنطقة ، ولعل ذلك من البرد القارس الذي يمنع تمادي النمو .

كنا نذهب تارة في العلو واخرى في الانخفاض وكنا ننظر دوماً في مسيرنا من اعلى الطريق الى الوادي فنجده سحيقاً، وبعد ان وصلنا الى جسر تصب المياه من تحته ، نزلت الوادي لوحدي واهتديت الى مقر الشلال العظيم الذي



الشلالات في الداخل

يخر بقوة ، فشربت من ذلك الماء الزلال البارد العذب الذي لم اكن اشبع منه ، ثم تابعنا المسير، وكلما ظننا اننا سوف نصل الى طريق يوصلنا بسفح جبل ، حاولنا

عبثا ، فمشينا ومشينـا الى ان انعطف الطريق فتيقنا بعـد ذلك ان هـذا الطريق الآخذ بالانحدار سوف يوصلنا الى الوادي .

من غريب الاتّفاق ان كلباً كان يرافقنا في نزهتنا هذه متطوعاً ، كان يقف عندما نقـف ، ويمشي عندما نمشي ، واذا اردنا ان نطلّ على الوادي السحيق وعلى مصب الشلال ، وقف بين ارجلنا كأنه يومىء الى محل الخطر الذي كان يداهمنا لو تقدمنا الى الامام .

مررنا في بعض الكهوف المظلمة التي حفرت بقصد ايصال الطريق بالوادي ، وكان هذا الكلب يدخل معنا في الكهوف المخيفة ويمشي امامنا وهو ينبـح نبحاً خفيفاً ، فاذا وقفنا على فوهة من فوهات الكهوف المطلة على الوادي وقف امامنا يضرب ارجلنا ويعضها عضاً خفيفاً ، كأنه يريد ان ينبهنـا الى مواطن الخطر كي لا تتقدم ارجلنا نحو الوادي فتهوي الى الاسفل .

تابعنا مسيرنا في اعلى الجبـل ولكن ما لبث الطريق برهـة قصيرة حتى اخذ بالانحدار التدريجي الى ان وصلنا الى اعمق نقطة في الوادي ، ومررنا بقرب الشلال وغسلنا ايدينا بذلك الماء ، ثم استأنفنا المسير ، فوصلنا الى جادة تمر بهـا العربات والسيارات ، واعتلى بنـا الطريق ، فرأينـا الفندق الذي تركنـاه في الصباح . واتجهنا نحوه الى ان وصلناه .

ان طريق الجادة مغبر متعب ، فقد كان الطريق الصخري على وعورته يسرنا اكثر من هذا الطريق المليء بالسيارات ، وصلنا الفندق والجرس يقرع لطعام الغداء .

تكثر مآكل السمك في النرويج ، وسكان هذه المنطقة يتفننون في طبخه وتحضيره ، وقد يجد السائح في طعم السمك لذة يكاد لا يجدها في سائر بلاد العالم ، ولعلّ السبب في ذلك اعتناؤهم الزائد في هذا الصنف من الطعام ، وذلك لوفرة السمك عندهم ، ولاكتناف اراضيهم بالبحار ولوجود الفجوات العديدة المتداخلة في البر والتي سبق لنا الحديث عنها ، ولقلة اراضيهم الزراعية . اما بقية المآكل فلا تختلف عن مآكل متوسط اوروبا ، وهي قليلة في الجنوب ومعدومة في الشمال ،

اذ لا طعام هناك الا السمك والبطاطا .

تركت هذه النزهة القصيرة في نفسي أثراً لا ينمحي ، واكتشفت هنا سر الخلق النرويجي الذي هو صلب ووديع في آن واحد . فالطبيعة عندهم خلابة متنوعة المناظر ، ولكنها في عين الوقت قاسية ضخمة جبارة مهيبة ، يجد الانسان فيها اختلاف التكون في اعظم مظاهره .

ان انساناً يعيش في هذه المنطقة فيه شيء من قساوة الحياة وتحمل الشدائد ، ولكنه في عين الوقت حليم وديع ، فهو بذلك صورة صادقة عن طبيعته . ان الطبيعة هنا تسحر المرء وتضطره ان لا يحس الا بها . جبال شاهقة ، وديان سحيقة ، شلالات منهمرة ، صخور جبارة ، مناظر متعددة خلابة تأخذ بكلية الانسان وتجذبه اليها .

٢ — نزهة منفردة حول فندق شتالهايم : (الساعة الثالثة بعد الظهر)

كدت أقطع الأمل وأنا في المنطقة البرية النرويجية ان اشاهد الشمس تماماً ، وكدت أعتقد ان الله قضى على هذه البلاد ان تكون محجوبة الشمس ، لأني لم أر فيها الشمس تشع الا من بين الغمام ، ولكن سرعان ما تبددت ظنوني وانقشع الغيم ، وظهرت الشمس جلية واضحة للعيان . لم يبق في السماء الا بعض الغيوم الصغيرة التي لم تعكر صفو الجو ، بل زادت في حسنه ، سيما المناظر المتعددة التي تحدثها على الارض لدى مرورها في السماء ، فكنت أرى منظراً بديعاً : هنا ظل وهنا نور ، وفي ذلك المكان البعيد نور ، وفي هذا ظل ، وهكذا . فكانت المناظر مختلفة بين الظل والنور ، ولا يلبث النور حتى يصير ظلاً والعكس بالعكس ايضاً . ان هذه الاختلافات تجعل الطبيعة بحالة فعالية وبمناظر متنوعة متعددة ومتبدلة ، لا تلبث على حال واحد ، كأن هذه الارض التي نعيش عليها ، ليست الا موطن الحركة الدائمة والحوادث المستمرة ، موطن اختلاف الصور ، موطن الكلام الحي ، اي ان الطبيعة تتكلم بلغة الريح والشجر والجبال والوديان والشلالات والظل والنور ، فهي ليست سكوناً مملاً لا جدوى له او سكوتاً مميتاً لا حياة فيه .

(الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر) : ان هذه التأملات قد أوحتها الي نظرة قصيرة من النافذة الى الخارج، ولكن بعد ذلك عنّ لي ان اذهب الى الطبيعة بنفسي

تركت الفندق وذهبت تواً لوحدي فقعدت على مرتفع عال في سفح جبل من الجبال المحيطة به .

قعدت وأنا استقبل شعاعات الشمس الجميلة تحت هذا السماء وفي تلك البقعة الشمالية من الارض التي أنا عاجز عن وصفها .

انا لا أحب ان اكون في هذه الساعة شاعراً أخذ الطبيعة كدافع لأعبر عما يختلج في الضمير ، بل اود لو كنت رساماً ، ولكن لا رساماً خيالياً يأخذ الطبيعة كمعونة للتعبير عن مآرب كمينة في النفس ، بل اود ان اكون رساماً حقيقياً لأصور الواقع الذي أشاهده ، وأنى لي ذلك ؟

هنا في هذه الطبيعة الخلابة اود نبذ الرسم الخيالي جانبا لاعود الى الرسم الطبيعي الحقيقي ، ولكن لا رسما جامداً بل رسما حياً يعطي صور كل تبدل يجري في هذا الكون الصغير ، ومن اين لي القدرة ان اكون كذلك ؟ في كل لحظة من اللحظات تغير وتبدل فى الصور ، لا تشعر به بلحظة الاستقرار ابداً ،وانك لتشعر بالتبدل في اسرع من لمح البصر .

اني قاعد في وسط الجبل امام جبل عظيم ضخم بذروة واسعة ملتوية ، ينتهي طرفه الواحد بحرجة ذات اشجار صغيرة تتصل بجبل آخر غير عال ، مسطح الذروة ، يكاد ينساب كالأفعى ، اعلاه قاحل، تسير من فوقه سحب الصيف البيض، في الاسفل قليل من النبات ، وخلف هذا الجبل القاحل، جبال خصبة مكسوة الذروة بالثلج ، وفي الجبل القريب مني هضبة ذات مرج اخضر يكثر فيها شجر الدلب ، ويتصل هذا الجبل بجبل آخر عال تكثر فيه الاشجار ، وينتهي هذا الجبل بصورة دائروية بالجبل الذي انا قاعد في وسطه ، وعن يساري منظر جبل ضخم بجوار جبل قاحل محدب الذروة ، وعلى الجبهة المقابلة ذلك الجبل الواسع الذروة

الذي اراه امامي، وعن يساري منظر ذلك الوادي الذي سرنا فيه اليوم قبل الظهر، ويعلو الوادي السماء بلونه الازرق الصافي الذي فيه شيء من السحاب الدائم المرور والحركة والمنعكس ظله على الوادي ، وها اني اسمع خرير مياهه يرافقه هبوب الريح الخفيف على ورق الاشجار .

الشمس اخـذت تحتجب من ورائي ، والجبل الذي انا قاعد عليه كان بارداً قليلاً منظراً لكثرة اعشابه ، وازدادت برودته عندما انحجبت الشمس وتوارت وراءه ، ولم يبق من نورها الا في الجبال التي امامي وفي الوادي السحيق .

في الساعة الخامسة والنصف مساء تركت هذا المكان ، واردت الالتجوء الى مكان دافئ ، اخذت اجري وراء الشمس ، ولكني كنت اجدها تفر مني قبل ان اصل اليها .

رأيت من طبيعة هذه البلاد ما لم اجده في غيرها ، رأيت الشمس تبيد الغيوم وتظهر جلية في كبد السماء وقت العصر ، ولكن لا تكاد الساعة الرابعة تأزف ، حتى تبدأ بالغياب ، لانها تختفي وراء الجبال العالية المانعة من وصول اشعتها الينا ، ولا تأتي الساعة السادسة حتى لا نشاهد من نورها الا في قمم الجبال ، اما بقية الاماكن المنخفضة فهي في الظل ، باردة رطبة .

غروب الشمس : ان اهالي النرويج في المنطقة الداخلية اذن لا يستفيدون مدة طويلة من اشعة الشمس ، على خلاف متوسط اوروبا ، واللباس الصيفي لا يستطيع الانسان الصبر عليه الا في ساعات معدودة من النهار ، وبعدة اكثر على الشواطئ .

صارت الساعة السابعة مساءً ، ولا تزال الشمس ترى من رؤوس الجبال ، ومما يجلب النظر ذلك المشهد الغريب : هو انه كلما قربت الشمس الى المغيب، انقشعت السحب من السماء ، يعقب ذلك برودة في الجو ، الساعة الثامنة والشمس لا تزال في ذرى الجبال البعيدة ، والمكوث في الخارج دون معطف يكاد يكون مستحيلا .

اختفت الشمس تماما ولم يبق ولا غيمة واحدة في السماء ، ولم اتمكن في هذه المنطقة الجبلية من تعيين وقت الغروب ، لان الشمس تستتر وراء الجبـال . وفي الساعة العاشرة لا يرى الانسان من النجوم الا ما قارب الافق، ويكاد يكون الكون مضيئاً بصورة تظهر ذرى الجبال بوضوح، كان القمر يلقي اشعته عليها ، اما اماكن الظل كالاودية مثلا فهي في ظلام قليل لا يشبه ظلام باقي الاقطار .

وما هذا النور في الحقيقة الا من ضوء الشمس الذي رأيناه بعد ذلك عندما رجعنا الى البحر .

شروق الشمس : استيقظت في هذه المرة (يوم الاربعاء ١١ آب) باكراً جداً ، وذلك في الساعة الرابعة والنصف صباحاً . فنظرت من نافذة غرفتي الى السماء فرأيتها صافية ، وليس هناك الا سحب قلائل في جهة الغرب .

لم اشاهد شروق الشمس ولكني شاهدت انعكاس أشعتها على السحب فعرفت انها قـد طلعت ، ولولا ذلك لبقي الأمر لدي سراً غامضا حتى السـاعة السابعة والنصف ، وفي هذا الوقت كنت ارى الشمس طالعة من اعلى الجبل ، والوادي الواسع في ظل ظليل .

السماء صافية كسماء الشرق ، وليس هناك غيوم صغيرة ولا كبيرة ، والطبيعة هادئة ساكنة جميلة ، وليس هناك من التغيرات الفجائية الهائلة التي كنت اراها في اليوم المنصرم ، فتبدل المناظر مقتصر اليوم على الظل والنور ، الشمس تشع على رؤوس الجبـال ، وكانت الجبال التي تستقبل اشعتها رأساً منيرة تماما ، على خلاف التي ينالها حظ قليل منها ، فكانت تتراءى بلون بنفسجي مع مراعاة اختلاف التلوين حسب النور والظل ، ولقد ارتديت في هذا اليوم لباساً صيفياً لعلمي ان الجو حار .

نزهة حول واد مدير : بعد تناول طعام الفطور سرنا في نزهـة جميلة


الوادي المديد

في واد طويل جداً ، لقد كان منظر هـذا الوادي لا يشابه مناظر الوديان الاخرى، اذ يمتد امتداداً طويلا ، ويسير بتعرج، يمر به نهر طويل تصب فيـه احياناً بعض الشلالات الخفيفة .

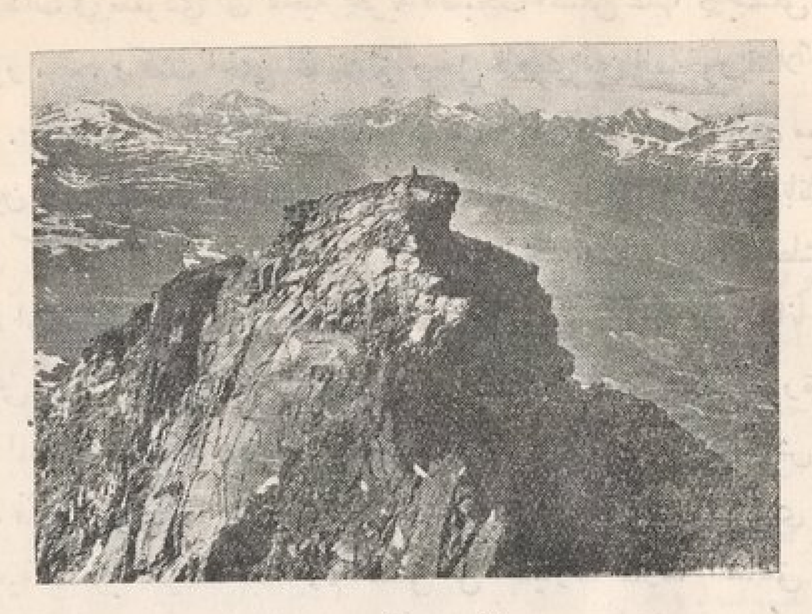
اما الجبال المحيطة بالوادي فهي ليست بعالية بل متوسطة العلو ، ويرى الثلج على ذرى الجبال بصورة غزيرة ، وقد كان بعض الثلوج آخذاً بالذوبان، هذه الجبال قاحلة تشبه مناظر سوريا، وهي خالية من السكان، فكنا لا نرى الا بعض قطعان من الغنم والماعز والبقر ترعى العشب وليس لها راع.

الطريق خال من المارة ، لا يرى الانسان مخـلوقا ابداً ، كانت الشمس حارة ويشبه هذا اليوم ايام الصيف الجميلة في متوسط اوروبا ، والهواء هـادىء لا يحس الانسان بتلك الحركة التي كان يحس فيها من قبل .

تسلق الجبل : بعد ان مشينا ثلاث أو اربع ساعات في هـذا الطريق الممل، خطر في بالي ان اصعد قمة جبل من سلسلة تلك الجبال اللامتناهية في الجهة الشمالية من موقع شتالهايم ، والتي تحيط في هذا الوادى من الجهتين .

لقد حدثت عن عزمي هذا رفيقين كانا معي ، فلم يقبلا ذلك وانبآني بوعورة المرتقى ، خصوصاً ذلك الذى كان يعرف منطقة جبال الالب جيداً ، ولكن رغما عن ذلك فقد صممت على الصعود وطلبت من الرفاق المكوث ريثما ارجع .

صعدت القسم الاول من الجبل بسرعة وكان يرافقني في صعودي ذلك الكلب



الجبل الوعر

الذي رافقنا في اليوم السابق متطوعاً ، وعلى ما يظهر ان ارباب الفندق قد اعدوا مثل هذه الكلاب لمرافقة السواح الغرباء ، حتى اذا ما ضلوا الطريق في رحلاتهم هدتهم الى مكان الفندق، كان القسم المقدم من الجبل عبارة عن مرج اخضر رطب جداً ، فكانت رجلاي مغمورتين في الماء فصعدت وصعدت حتى وصلت الى ناحية صخرية وعرة مشكلة من الاحجار الكلسية الرسوبية، فلم يرض الكلب الامين ان يرافقني ، وتركني وشأني ورجع ادراجه ينتظرني مع الرفيقين اللذين هما في اسفل الجبل .

كان الصعود من بين الصخور المرتكزة على العشب الرطب صعباً جداً ، وصلت بالعلو الى ناحية هي فوق ذلك الجبل الذي هو امامي ، فاصبحت اشعر بهبوب ريح دافئة، كان قد حجب علي هبوب هذه الريح الجبل الاشم الذي امامي، والتي كانت تهب من جهة الغرب،فتأكد لدي انها ناجمة من تيار الخليجي المكسيكي الذي يأتي من ناحية المحيط الاطلسي ،فيعدل جو النرويج ، وبدون هذا التيار الحار، تصبح هذه المنطقة ابرد مما هي عليه الآن .

وصلت في صعودي الى ناحية صخرية فاصبحت اتسلق عليها كما يتسلق الانسان على صور منيع، وكنت اخشى ان تنزلق رجلي فاهوي بين الصخور قتيلاً مضرجاً بدمائي . وكلما وصلت الى ناحية جديدة اعطيت اشارة لمن هما بانتظاري مع الكلب الأمين ، فكانا يعطياني اشارات ايضاً تدل على انهما لا يزالان بانتظاري ، بيد اني كنت لا اتبين اشاراتهما لاني كنت في حالة تعب شديد ، وعطشت جداً بصورة اصبحت معها لا اقوى على متابعة صعودي . وقع نظري فجأة وانا فى هذه الحالة على قليل من التوت الازرق البري الرطب البارد الذي ينبت بصورة وحشية في تلك المناطق الشمالية، فالتقطت بضع حبات منه وغسلتها برطوبة الحشيش والتهمتها التهاماً، فأطفأت شيئاً من العطش الذي اعتراني . بعد ذلك تابعت صعودي ووصلت الى ناحية صخرية مرتفعة جداً، لم أتمكن من اجتيازها لعلوها الشاهق ، فوقفت قليلاً لأتريث ونظرت الى الاسفل ، وأعطيت اشارة ، فأخذت جواباً عليها فهمته فى هذه المرة لأني كنت أمعن النظر في الأسفل ، وأريد المشورة والعون، وقد كانت الاشارة تبين لزوم السير لجهة اليسار ، اذ يوجد طريق سهل ، فسلكته والعرق يتصبب من جبيني ، وأخيراً أخذت اشارات تدل على ان الرفاق يودون الرجوع ، فاكتفيت بهذا المقدار من الصعود دون أن أحاول الوصول الى الذروة واجتياز تلك العقبة الكأداء والصخرة العاتية التي كانت فى طريقي ، وهكذا أومأت بلزوم الانتظار وعدت ادراجي .

لم يكن النزول سهلاً ، لأن رجلي كانت تنزلق ، ولولا اتخاذ الحيطة لنفسي لاصطدمت بتلك الصخور وربما أودت بحياتي . بين المشقات والصعوبات وصلت ناحية غير صخرية من الجبل، فنزلتها بسهولة ، وتابعت المسير في الوادي مع الرفاق حتى وصلنا الى المكان الذي خرجنا منه في الصباح .

٤ — **رحلات متفرقة حول شتالهايم** : هكذا كنت أغدو وأروح فى هذه الاماكن الجميلة تارة لوحدي وطوراً مع رفاق مختلفين بقية هذا اليوم ، يوم

الاربعاء ، وبقينا طيلة يوم الخميس نتنقل من جبل الى واد ومن واد الى جبل ، قلما كنا نختلط فيها مع السكان عدا مستخدمي الفندق لأننا لم نجد في تلك المنطقة الا أسراً قليلة لقرية نائية عن الفندق تعتني بصورة خاصة بتربية الثعالب لتستفيد من جلودها بعمل الفرو .

عودة الى فوس وبرغن : يوم الجمعة في الثالث عشر من آب تركنا هذا الفندق الجميل وركبنا سيارة تقلنا الى فوس ، تلك المدينة ذات الجبل الأزرق ، ومن هناك رجعنا الى برغن في القطار الذي يمر بين الشلالات والغابات والجبال والوديان والفجوات ، ووصلنا برغن ثانية وذلك في الساعة السابعة والنصف مساء .

تنزهنا في اطراف المدينة وقد تجلت لنا لطافة الاهالي في هذه المرة وكرمهم لوفادة الضيوف ، وجمال المدن النرويجية التي كنا نراها بحق جميلة لانها كائنة في سفوح الجبال وعلى سواحل البحار .

العودة الى البحر

الاقلاع في الباخرة نحو الشمال : ظللنا نتنزه طول هذا النهار في مدينة برغن الى تمام الساعة العاشرة مساء ، فذهبنا الى الميناء نريد السفر الى القسم الشمالي الغربي من شبه جزيرة اسقانديناويا ، اي الى منطقة قطب الشمال .

عندما كنا في البر كنا لا نرى غروب الشمس ، اما هنا فكان يظهر لنا جلياً ، فغربت الشمس بعد الساعة العاشرة ، ولكن الشفق الاحمر لا يزال في الأفق ، وفي اقصى الشمال شاهدنا نور الشمس سائداً الليل كله ، على ما سنصفه فيما بعد .

كان اكثر ركاب الباخرة التي تقلنا الى الشمال من النرويجيين الذين اعتادوا السفر في البحار لتداخل البحر على شكل فجوات في اراضيهم ولوعورة الجبـــال

النرويجية ، هناك ايضاً عدد طفيف من الاوروبيين والامريكيين .

تابعت الباخرة مسيرها نحو الشمال ، فوصلت الى شبه جزيرة «ستـاد» وهي منطقة جبلية ولكنها واطئة وصخرية قاحلة ، لا عشب فيها ولا شجر ، كان الجـو هادئاً والبحر قليلة امواجه .



الباخرة النرويجية تمخر عباب الفيوردات

الرزوند : وصلنا يوم الجمعة ١٣ آب صباحاً مدينة الرزوند Aalersund وهي كائنة في فيورد يعرف باسم مولده Molde . اما مدينة الرزوند فهي في السفح ممتدة نحو الجبل ، وفيها فندق ومقهى عال ، ولقد كان منظر المدينة



الرزوند Aalersund

من الاعلى جذابا جداً ، لانها تتراءى بأبنيتها وحدائقها وشوارعها وميادينها كأنها معلقة ، فالمنازل ممتده من اسفل الوادي حتى الجبل ، أما الباخرة الراسية فقد كانت تتراءى للناظر كأنها في حوض، يحيط به جبال مختلفة الارتفاع . الضباب كان يسود المدينة ولا نتبينها جيداً ، ولكن لم تمض فترة حتى انقشعت الغيوم ، وظهرت المدينة واضحة جلية . بعد ان مكثنا في المقهى العالي المطل على المدينة، نزلنا منه في طريق يسير متعرجاً ، وفيه بعض الجسور ، وقد كان يرافقنا في مسيرنا اسرة بريطانية ، تعرفنا عليها اثناء الطريق ، ورجل نرويجي وامرأة عجوز من ويانة ، كان ابنها يشتغل بحاراً فقضى نحبه في مدينة هامرفست ، وهي في كل

سنة تأتي من ويانة الى هذه المدينة لزيارة قبر ابنها .

بعد النزهة في اطراف المدينة ، ومشاهدة كنيسة بطراز نرويجي يرجع عهدها الى القرن السادس عشر ركبنا الباخرة متجهين نحو «مولده» ، ولكن في هذه المرة لم يكن البحر ساكناً ، بل رغم صحو الجو كانت الامواج تتقاذف السفينة وتتلاعب بها كأنها ريشة في مهب الرياح .

مولده Molde : وصلنا مدينة مولده التي هي في منتهى هذه الفجوة ، قبل الظهر ، وقد كانت ملأى بالخضار بصورة جذابة ، وقد تعجب عندما ترى ان الاقليم يكاد يكون أقرب مناخاً للاقاليم المعتدلة الجنوبية منها للاقليم البارد ، والجو كان مغموراً بروائح الازهار العطرية ، رغم ان هذه المدينة كائنة على خط عرض هو أعلى من لينغراد اي على خط عرض جزيرة غرونلاند الدائمة الجليد ، والمنازل اكثرها من الخشب ويحيط بها جنائن غناء . اذا نزلنا من الباخرة وسرنا في الطريق الذي يرتفع رويداً رويداً نصل الى كنيسة ، وبعد ذلك الى رواق من اشجار القبقب ينتهي بمقبرة ، تدل على ذوق واحترام زائد للميت الراحل ، فالقبور مزدانة بالاشجار والزهور ، وفيها هضبة خضراء مزدهرة ، والذي يجلب النظر في هذه المقبرة عدم احتوائها على كتابات خاصة ، بل يقتصر فيها على اسم الميت ويومي الولادة والوفاة .

حيثما نظرت في مدينة مولده تجد اشجار الكستنا والزيزفون والبلوط الاحمر والقبقب الجبلي ، وكذلك اشجار الكرز . ان اهم ما يجذب السائح في هذه المدينة المناظر التي تتراءى من هضبة لا يتجاوز ارتفاعها ثمانين متراً ، حيث يرى المرء المدينة الخضراء محاطة بالفجوة الزرقاء الدكنة ، والجبال البيضاء الذروة الممتدة حتى الأفق ، وقد أردت في هذه المدينة ان ابحث عن اسرة تدعى هانس تعرفت عليها في المانيا ، ولم يكن عندي اسم الشارع الذي تقطن فيه ، فكنت كمن يفتش في مدينة من المدن العربية مثلا على رجل يدعى « محمد علي » . وعندما سمعنا صوت الصفارة يدوي ، تركنا التمتع بهذه المدينة الجميلة وقفلنا راجعين الى الباخرة ، لنتابع سفرنا .

تابعنا سفرنا الى مدينة تدعى كريستيانزوند Kristiansund ولم يكن في هذه المدينة الصغيرة ما يجلب النظر ، غير اني ذهبت مع اسرة نرويجية الى مقهى بالقرب من البحر ، وقد كانت الموسيقى تعزف والاغاني النرويجية يرن صداها فى تلك البقعة ، ومن الغريب ان نرى ، رغم البلادة الظاهرة على الشعب النرويجي ، انه مغرم بالاناشيد ، وأناشيدهم ايضا صدى لطبيعتهم وحياتهم المتناقضة ، بين الخفيف الهادىء الذي يكاد يهدي للنوم ، وبين الاصوات الضخمة المزعجة كأنها محفزة سامعها الى الحرب .

جلست مع اسرة فى هذه المدينة النرويجية التي هي اقرب ما تكون الى القرية منها الى المدينة ، وأنا لا أشعر نفسي غريباً ، وان الاسرة التي كنت برفقتها لم تسمح لي ان ادفع اجرة القهوة من حسابي ، بل عدوني ضيفاً ، ورأوا أن من العار عليهم ان لا يقوموا بواجبات الضيف الحقيقية ، ولعل هذه الاخلاق التي تشبه الاخلاق العربية ناجمة عن كون النرويجي يعيش مع الطبيعة فهو باتصال دائم على خلاف باقي شعوب اوروبا ، الذين ابتعدوا عن الحياة الفطرية الطبيعية أميالاً . . .

تروندهايم : Trondheim وصلت الباخرة يوم السبت في الرابع عشر من آب الساعة السابعة صباحاً الى مدينة تروندهايم ، هذه المدينة هي من أجمل بلاد النرويج ، وثالث مدينة فيها ، يبلغ نفوسها (٥٠،٠٠٠) نسمة ، وهي مثل باقي البلدان في سفح جبل ، فى فجوة عميقة جداً ، على عرض ٦٣،٢٥ درجة ، وهي الى اقصى الشمال اكثر من أي مدينة اوروبية كبيرة اخرى ، واقعة بحذاء جزيرة غروئنلاند ، ورغم ذلك فان الصيف فيها يشبه صيف ايرلاندة الجنوبية ، والشتاء يشبه شتاء مدينة درسدن في المانيا ، وتبقى الفجوة عارية من الجليد ، وان نهر ليند فيها الذي ينتهي بمصبه في الفجوة من النادر تجمده .

ان هذه الحرارة التي تتمتع بها مدينة تروندهايم او بالاحرى الساحل النرويجي حاصلة من جراء التيار الخليجي .



تروندهايم Trondheim

أتى حين من الدهر على مدينة تروندهايم كانت فيه عاصمة البـلاد كلها ، ولا يزال للملك فيها قصر جميل يتخذه مصيفاً وللراحة من عناء العمل. في هذه المدينة كنيسة شهيرة ، ومدرسة صناعية عالية ، ومدرسة حربية ، اما المنازل فيها فمتفرقة وقسم منها يمتد وراء الجبل ، وينتهي ببحيرة ماء عذب ، تتخذ مسبحاً في الصيف ، وماؤها بارد جداً ، يكاد لا يصبر عليه الانسان مدة طويلة

تعرفت في هذه المدة بأسرة نرويجية بقيت على اتصال بها حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقد اصطحبوني معهم واروني المدينة ، فكنت اعجب بالنظافة والانتظام السائدين فيها ، والجد والاجتهاد اللذين كنت اقرأهما في اسارير وجوه السكان ، كنت امشي مع هذه الاسرة كأني احد افرادها ، مع اني لا اعرف لغتهم ، وهم لا يتكلمون من اللغات الاجنبية شيئاً ، فكانت اكثر مكالماتنا بالاشارات .

يشتغل الناس هنا بصنع الاقمشة ويبيعونها في اسواق اوزلو العاصمة النرويجية . اما المرأة عندهم فهي عارفة واجبها وتسير في هذه الحياة بجد ونشاط وهمة لا تعرف الملل والكلل . يرى السائح في هذه المدينة المصنوعات اليدوية بكثرة ، وهي ذات

طابع وطني لا مثيل لها في سائر الأوطان ، وكانت تعرض على الغريب ليشتريها ، ولكن لا بالحاح ، بل مع احترام الحرفة ، اذ ان عزة النفس عندهم بلغت شأواً بعيداً . وقد حازت المرأة قسطاً لا بأس به من الثقافة لا يقل عن رفيقاتها في باقي الامم الاوروبية ، ولعلها كانت تمتاز عليهن بالقناعة في العيش والرضى بحظها القليل من سمكات البحر .

ان نسيت كل شيء فاني لا انسى تلك النزهة البديعة مع الاسرة المذكورة آنفاً الى الطرف المقابل من المدينة ، وقعودنا في مقهى عال يطل على واد سحيق ومن حوله الجبال الشاهقة . ان هذا المكان الذي اصفه لا يشبه شتالهايم ، ذاك هادئ ، وهذا يعج بالناس ، وان الحرارة هنا اكثر مما هي هناك ، رغم اننا سرنا مسافة اكثر من ساعة في الحافلة الكهربائية نحو الداخل ، اما هناك فقد توغلنا كثيراً في البر ، لدرجة لم نشعر معها بوجود التيار الا قليلا . ان تلك المناظر كانت طبيعية ، الا ما كان في الفندق نفسه ، اما هنا فان المناظر المحيطة بنا صنعية ، عدا مناظر الجبال البعيدة والمكسوة الذروة بالثلوج . يشعر الانسان هناك بالوحدة ، وهنا اينما اتجه ير السكان الكثيرين . بعد ان قضينا ساعة ظريفة بذلك المقهى الجميل ، استصحبت الاسرة النرويجية وذهبت تواً الى المسبح الكائن في سفح جبل وهو يشكل بحيرة مغلقة عذبة ، متكونة على ما يظهر من نهر ليند ذلك النهر الذي يجري ضمن المدينة . اخذت في بادئ الامر زورقاً وجذفت حول البحيرة ، ولكن سمرة وجهي كانت تجلب الانظار ، اذ لم يعتد سكان المدينة ان يروا غريباً مثلي في منطقتهم . ومن غريب ما حدث اني اردت الاستحمام ، ولم يكن عندي الملابس المعدة لذلك ، فذهبت الى صاحب المسبح التمس منه ان يؤجرني ملابس للسباحة ، ولما هممت بنزع ثيابي ، وجدت الصندوق المعد لحفظ الدراهم مفتوحا على مصراعيه دون ان يغلق ، فقلت في نفسي : ان صاحب المحل لن تخامره نفسه بأي نقص في المال ، لاني سوف اخرج من هذا المحل تواً الى البحيرة ، فلذلك لم يجد ضرورة في اغلاق الصندوق ، ولما انتهيت من السباحة ورجعت الى نفس المكان ، وجدت صاحبه قد

تركه ايضاً وترك الصندوق مفتوحا والمفتاح عليه ، عند ذلك طلبت اليه لافتا انتباهه ليغلق الصندوق ويأخذ المفتاح ، ولكنه لم يفعل ، واجابني مستغربا : وهل انا في بلاد تكثر فيها السرقات حتى اظهر مثل ذلك ؟ واضاف قائلا : عندنا في بلاد النروج لا تحدث السرقات ، وانها من اقل بلاد العالم جرائم ، وانه لا يقفل الصندوق الا عند مغادرة المحل وقت الانصراف ، اما في النهار واثناء العمل فلا نجد اي ضرورة لقفله .

السفر من تروندهايم : ركبنا الباخرة عند الظهر وغادرنا هذا الثغر الجميل ، ومررنا بفيورد تروندهايم الكبير المحاطة اطرافه بالجبال الكثيرة المكتظة بالاشجار . ان الاسرة التي كنت تعرفت بها ورافقتني في مدينة تروندهايم قد عرفتني بأسر نرويجية أخر ، تود السفر الى ناحية الشمال ، فجلسنا معاً على ظهر الباخرة ونحن نبتسم لتلك الطيور العديدة التي كانت ترافقنا في الاسفار .

اختلطت هنا مع النرويجيين ، وبدأت أتحدث اليهم ، فكنت ارى من يجيد الالمانية او الانكليزية ، وقلما وجدت من يعرف الفرنسية . أما الاكثرية الساحقة فهي لا تتكلم الا لغة البلاد ، فكنت أضطر ان اتحدث مع الناس بالاشارات ، وعندما عرفوا أني سوري ، رغبوا الي ان أغني لهم نشيدنا الوطني ، فوقعت في حيرة عظيمة ، لاني كنت أجهل انشودة وطنية لنا في ذلك الوقت ، واعتراني شعور بحزن عميق ، لان أقوام العالم أجمع لهم اناشيد وطنية ، وقد حرمت من ذلك سوريا آنذاك . ولكني تخلصت من ذلك المأزق الحرج وغنيت لهم :

انت سوريا بلادي انت عنوان الفخامة

كل من يأتيك يوماً طامعاً يلقى حمامه

وقد غنوا لي بعد ذلك نشيدهم الوطني وهذه ترجمة مطلعه :

نعم ، نحن نحبكِ وحدكِ ايتها المتعالية

الارض المكتنفة بجلاميد الصخور التي يختفي فيها البحر ،

الحاوية على آلاف المنازل .

نحبكِ ، نحبكِ ، ونفكر في عالم الاسلاف ،

واذا ما أسدل الليل ستار الاساطير ،

أوحيتِ الينا بالاحلام .

وما طلبت هذه الاغنية ، حتى فوجئت بفيض من الاغاني ، واذا أنا بين شعب موسيقي ، تكثر عنده الاغاني الشعبية التي هي صدىً لهذه الطبيعة الغريبة ، كنت أسمع أنغاماً قاسية قوية تكاد تنفر الانسان ، وانغاماً لطيفة جذابة تدل على عاطفة رقيقة وحنان عظيم .

يضيق بي المجال أن أصف مناظر الفيوردات المختلفة التي كنا نمرّ بها ، ولكني أقول بصورة مجملة ، انه كلما سارت الباخرة نحو الشمال ، شاهدنا عدداً وفيراً من الجزر المبعثرة في البحر ، والجبال أخذت بالتغير ، فأصبحنا كلما توغلنا في الشمال ، ازداد القفر ، وقلّ علو الجبال .

صارت الساعة الرابعة والنصف ، ونحن لا نزال نمرّ بين الجزر الصغيرة المتشعبة والكثيرة العدد ، والتي هي ليست الا صخوراً قاحلة لا عشب فيها ولا شجر ، وكأن هذه الجبال البركانية ليست على الارض ، بل هي تابعة لكوكب من الكواكب غير المسكونة .

في الساعة السادسة والنصف وصلت الباخرة الى منطقة برية لم يتسنَّ لها ان تسير فيها بين الفجوات ، فسلكت طريقاً غربياً من طرف بحر الشمال ، لأن الناحية الشرقية كانت مؤلفة من جزر جبلية فقط .

كانت السماء صافية براقة ، ولكن زرقتها خفيفة ، وليس هناك الا غيوم قلائل ، والبر هنا أشبه بسلسلة هضاب محدبة . أخذت الريح تشتد والموج بازدياد ، وكلما بعدت الباخرة عن الفجوات وتغلغلت في ناحية البحر المكشوف ازداد الموج .

منطقة القطب الشمالى

الوصول الى منطقة القطب الشمالى : في الساعة الواحدة من يوم الاحد ١٥ آب وصلنا مدينة بوده Bode وهي أول مدينة في النرويج في منطقة قطب الشمال ، نزلنا مع جم غفير من النرويجيين في فندق دولي ، عليه أعلام دول مختلفة كائن على فيورد من فيوردات المدينة ، والمدينـــة نفسها لا تحتوي اكثر من ستة آلاف نسمة . تجولنا في هذه المدينة وشاهدنا بعض أسر من قبائل اللاب، وسيأتي وصفهم عند ذكر مدينة ترومزه .

المناظر هنا تختلف جد الاختلاف عن الجنوب ، فلا يوجد هنا مناظر بديعة كالتي كنا نشاهدها هناك ، نعم لا نزال نرى بعض الاشجار في الداخل والجنات اليانعة ، ولكن تلك المناظر الخلابة في الجنوب لا وجود لها هنا .

شمس نصف الليل : تابعنا السفر الى مدينة سفولفر Svolver وهنا تجولنا مع أسرة على ما يظهر انها خليط بين الشعب الاوروبي والتتري المغولي . ومن الغرابة وجود سمرة بين البياض والشقار الشديدين هنـاك ، ولعل ذلك متأت من اختلاط بعض السكان بقبائل اللاب انفسهم ، ولكن قبائل اللاب على الغالب تعيش في عزلة عن السكان الاصليين . سارت الباخرة حتى الساعة العاشرة مساءً ، وهنـا



شمس نصف الليل

شاهدنا غروب الشمس في الدائرة القطبية بكل وضوح ، ولكن الأفق لا يزال احمر مضيئاً . انقضى النصف الاول من الليل والافق لا يزال احمر ، ونحن نمر بين الجبال المسننة الصخرية القاحلة الجرداء ، التي تتراءى للناظر كأنها خيالية محضة ، ولا يطرأ على بال احد اننا في منتصف الليل ، ولم يرقد لي جفن هذه الليلة، لأنني كنت أود معرفة زمن غياب شفق الغروب الاحمر ، ولكني كنت أرى ان هذا الشفق لم يغب ، اذ واصل شفق الغروب شفق الشروق ، وكان الليل أشبه بوقت الأصيل ، والانسان غير جدير ان يفرق بين الليل والنهار .

ولمشاهدة شمس نصف الليل على جليتها ، كان يجب علي ان آتي الى هذا المكان في اوائل شهر تموز ، اذن لشاهدت (كما وصف لي كثيرون ممن رأوا ذلك بالعيان) بأن قرص الشمس يغيب فترات قصيرة وراء الافق ، ولكن صورتها لا تزال فوق البحار ، ولا تلبث مدة طويلة ، حتى تعود فتشرق مرة ثانية متابعة دورة النهار التالي . ان مدة المكوث وراء الافق تكون لحظات قلائل ، ثم تزداد المدة يوما بعد يوم الى ان تصبح ساعات . في الوقت الذي كنت فيه هناك ، كانت تغيب الشمس في الساعة العاشرة ، ويبقى شفقها في الافق ساعات قلائل الى ان تعود فتشرق مرة ثانية ، دون ان يعم الكون الظلام . وقد كنا نتبين على ضوء الشفق الذي لا نفرق بسببه بين مساء وصباح ، الجبال الصخرية القاحلة التي هي اقرب الى الخيال بهذا الضوء الضئيل منها الى الحقيقة .

وفي هذه الشمس يقول أحد شعراء الشمال :

شمس نصف الليل تشع فوق الجبال ،

حمراء كالدم بلونها الارجواني ،

الكون ليس بليل ولا نهار ،

ضياء خفيف منتشر ،

انه لشعور غريب ان لا يفرق الانسان فى هذه المنطقة بين الليل والنهار ، وبين ساعات العمل والراحة ، ولكن لا غرابة في شيء ولولا الساعة لما علمنا اننا

الآن في ليل هو في باقي الاقطار دامس ، ولو لم تمر امامنا ساعات النهار الطويلة ، لظننا ان النهار لا يزال يتابع جريانه ، واننـا لا نزال ننتظر الليل بفارغ الصبر ، ولكن الساعة هي التي عرفتنا كل ذلك ، وافهمتنا ان ساعات النهار قد مضت ، وان ساعات الليل المنيرة قد اتت ، وكأن المعري حين انشد :

عللاني فان بيض الاماني	فنيت والظلام ليس بفاني
رب ليل كأنه الصبح في الحسـ	ـن وان كان اسود الطيلسان
قـد ركضنا فيه اللهو لما	وقف النجم وقفة الحيران

يقصد بذلك ليالي الشمال الغريبة ، ولكن الحيرة هنا ، هل هـذا النجم هو نجم الصبح ، ام نجم الليل ، ام نجم المساء .؟ اما الليل فهو الصبح في الحسن ، وليس بأسود طيلسان .

اننا في شهر آب ، في الوقت الذي اتيح لي فيه زيارة هذه المنطقة ، يقدر الانسان ان يشاهد الفرق بين حالتي الغروب والشروق ، ففي شفق الشروق النور يتضاءل قليلا ، وفي الغروب يتزايد اذا امعن المرء النظر ، اما في اوائل شهر تموز كما حدثني بذلك بعض السائحين وسكان تلك المنطقة نفسها ، فلا فرق بين الشروق والغروب .

مطابقة وصف الاوائل للواقع : ولا بد لي قبل الانتهاء من هذا البحث ان اذكر كيف ان الجغرافي ابن فضلان رسول المتوكل على الله وصف تلك المنطقة وصفاً دقيقاً :

« . . . ودخلت انا وخياط كان للملك من اهل بغداد ، وقد وقع الى تلك الناحية . . . فتحدثنا بمقدار ما يقرأ الانسان اقل من نصف سبع (من القرآن) ونحن ننتظر اذان العتمة ، فاذا بالآذان ، فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر ، فقلت للمؤذن اي شيء اذنت ، قال اذان الفجر ، قلت فالعشاء الآخرة قال نصليها مع المغرب ، قلت فالليل ، قال كما ترى ، وقد كان أقصر من هذا ، الا انه قد أخذ في الطول ، وذكر انه منذ شهر ما نام خوفاً من ان تفوته صلاة الغداة ، وذلك ان الانسان

يجعل القدر على النـار وقت المغرب ثم يصلي الغداة وما آن لها ان تنضج . قال ورأيت النهار عندهم طويلاً جداً واذا انه يطول عندهم مدة من السنة ويقصر الليل ثم يطول ويقصر النهار . . . وحدثني الملك ان وراء بلدته بمسيرة ثلاثة اشهر قوماً يقال لهم « ويسو » ، الليل عندهم اقل من ساعة . . . ورأيت عند طلوع الشمس يحمر كل شيء من الارض والجبال ، وكل شيء ينظر الانسان اليه ، وتطلع الشمس كأنها غمامة كبيرة ، فلا تزال الحمرة كـذلك حتى تتكبد السماء . وعرفني اهل البلد انه اذا كان الشتاء عاد الليل في طول النهار وعاد النهار في قصر الليل ، حتى ان الرجل منا ليخرج الى موضع يقال له « اتل » بيننا وبينه اقل من مسيرة فرسخ وقت طلوع الفجر ، فلا يبلغه الى وقت العتمة ، وتطلع الكواكب كلها حتى تطبق السماء ، فما برحنا من البلد حتى امتد الليل وقصر النهار . ورأيتهم يتبركون بعواء الكلاب جداً ويفرحون به » .

نقلت هذه العبارة عن صورة فوتوغرافية اطلعت عليها في جامعة بون من المانيا عن مخطوطة محفوظة في مشهد ايران في مكتبة قبر الامام الرضا (١ - ٢١٢) صفحة ٢٠٨ - ٢٠٩ .

اما البيروني فكما ذكر في كتابه الجماهر في معرفة الجواهر المطبوع في حيدر آباد - الهند ١٣٥٥ هـ . (ص ١٦٧) يقول : « انه ليس في الارض ظلمة تدوم » ويعلق على ذلك « ان اشير الى المواضع التي يكون فيها الليل عدة اشهر لم يقاوم بردها بشر على الجبلة المعهودة . » وطبعاً ان البيروني لم يأته وصف مشاهد بل سمع بذلك بصورة غير مضبوطة .

الحوت في المتجمد الشمالي : يوم الاثنين ١٦ آب الساعة السابعة صباحاً وصلنا مدينة هارشتات ، ولم يكن لهذه المدينة الصغيرة من فرق عن باقي المدن النرويجية الصغيرة التي وصفناها في فرص متعددة . تابعنا مسيرنا هنا بالباخرة بين الجبال المكسوة بالثلوج التي لا تنتهي . السماء متلبدة بالغيوم والريح باردة شديدة ، ولكن الماء هادىء لمرورنا في الفجوات .

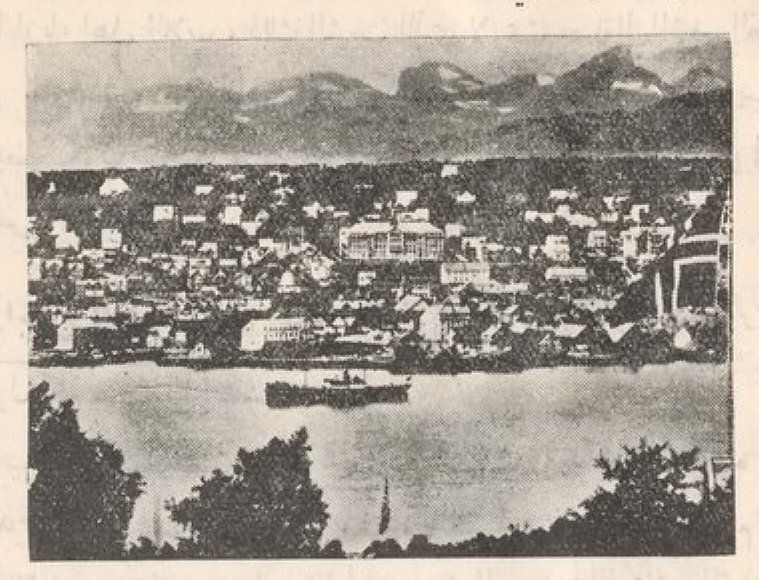
طلعت الشمس من بين الغيوم ومن ثم اخذت تغيب ، الجو اصبح في اضطراب والغيوم في فعالية عظيمة ، والمناظر الطبيعية في تغير مستمر ، الطقس بارد جداً ، يكاد الانسان لا يصبر على هذا البرد الشديد ، رغم التدثر بالمعطف الغايظ .

لا شيء يجلب النظر في هذا البحر غير تلاطم الامواج وعلو المياه فيه ، ولقد قص علي رجل شيخ من هذه المنطقة ، ان ذهاب المياه الى العلو ، يذكره بنافورة المياه المتأتية من الحيتان التي كانت تعيش قديماً في هذا البحر . وقد قضى عليها ولا شك ، الصيد الفظيع الذي جرى في هذه البحار .

كان هذا الحيوان ، على ما قص لي هذا الشيخ ، يعيش بكثرة في هذا البحر المتجمد الشمالي ، ولكن استعمال دهنه في عمل الزبدة الصناعية ، كما شاهدت ذلك فيما بعد في معمل الزبدة في برمن Bremen (شمال المانيا) ، وصيده المتواصل سبب انقراضه في هذه المنطقة ، والآن لا يرى الصياد حوتاً في هذا البحر ، حتى ولا في منطقة شبيتس برغن الا نادراً ، لكنه لا يزال موجوداً بكمية قليلة جداً في الساحل الغربي من جزيرة غروئنلاند ، حتى ان السفن المعدة لصيده لا تكسل في البحث عنه في منطقة القطب الجنوبي نفسه ، التي لا يزال فيها موفوراً ، ولقد روى الشيخ احدى المعارك التي دارت رحاها بين باخرة صغيرة معدة لصيد هذا الحيوان وبين حوت عظيم ، وأرسلت السفينة طلقات نارية بقصد القضاء عليه . وبعد ان انتهت المعركة وتم الظفر للصيادين مروا بقرب الباخرة الصغيرة المعدة لصيده . وبين لنا ايضاً كيف ان البحر في هذه المنطقة نفسها كان قبل عشرات السنين احمر ارجوانياً من دماء ذلك الحيوان العظيم . وصيد الحيتان لا يزال حتى اليوم في غروئنلاند مقروناً دوماً بالمغامرات والاخطار ، عراك شديد بين الثروة والموت ، لأن هذا الحيوان غالي الثمن ، وقد تتبع البشر أماكن وجوده منذ القرون الخوالي ، ولا يزال يتتبع آثاره الى يومنا هذا .

وانه لمن النادر جداً ، ان يرى الانسان اليوم اثراً له في هذه المياه ، وقد كنا ندقق النظر بامعان ، علنا نهتدي اليه في مكان ما ، ولكننا عبثاً حاولنا ، وفي

بعض الاوقات كان يتراءى لناظرنا كأننا نرى نافورة ، ولكننا لا ندري ، أهي الحقيقة أم الخيال الفياض أملى علينا هذه الرؤيا العيانية ، بعد سماع احاديث الشيخ عن المنطقة وتأثيره علينا بالايحاء .



ترومزه Tromsoe « جنة الشمال »

ترومزه Tromsoe جنة الشمال : في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر وصلنا مدينة ترومزه التي تدعى جنة الشمال ، وسبب تسميتها ، وجود بعض الجنائن فيها . اذا توغل الانسان في اسواق هذه المدينة يجد مصنوعات من جلود الحيوانات الشمالية كالاريل الشمالي والدب الابيض ، كذلك فرو الثعالب على اختلاف انواعه. يبلغ سكان هذه المدينة ما يقرب من ٦٥٠٠ نسمة ، يعيش أهلها على تجارة الاسماك والفرو . ان اكثر مباني هذه المدينة من الخشب ويتخلل البيوت بعض الكنائس ، والبنايات الكبرى كالمتحف ومدرسة التجهيز ودار المعلمين وهي من الاحجار ، ويحيط بالمدينة مثل اكثر البلدان النرويجية جبل تربض هذه المدينة في ذيله ، وبالقرب من المدينة اشجار من الفصيلة الابرية الشمالية وبعض الاشجار من الفصيلة البتولية التي تشبه اشجار الحور في بلادنا ، كما يوجد بعض اشجار من الكمثريات تعرف باسم اشجار توت الطيور Pirus Aucuparia يبلغ ارتفاع مثل هذه

الاشجار ثلاثة حتى ستة امتار ، ولكن هذه الغابات غير كثيفة ، وفي الاماكن النيرة منها اي القليلة الكثافة ، يوجد بعض مقصورات جميلة حاوية على مختلف الزهور.

بعد ان تجولت في اطراف المدينة وراقبت عن كثب الازياء المختلفة لها ، شاهدت هنا ازياء اهل اللاب ، ذلك الشعب الذي لا يمت بصلة الى الشعب النرويجي. وقد تحدثت مع كثير من الناس الذين كنت اجدهم ينظرون للغريب نظر التعجب ، ويضحكون ضحكاً ساذجاً ، وقبل ان اترك هذه المدينة خطر لي زيارة بعض مرابض اللاب .

في مرابض اللاب : قبل البدء في الكلام عن مرابض اللاب نرى لزاماً علينا ان نقول كلمة عن هذا الشعب .

ان اللابيين من بقايا شعب مهاجر أتوا من آسيا ، وقد حكموا شبه هذه الجزيرة في العهد القديم ، يبلغ عددهم نحواً من ٣٠٠٠٠ نسمة ، ويسكنون اليوم السويد والنرويج وفنلانده ، وبموجب معاهدة الحدود بين السويد والنرويج التي عقدت عام ١٧٥١ يحق للاب السويد ان يجتازوا في الصيف الحدود ويدخلوا ضمن الاراضي النرويجية ، ليتمتعوا بالسواحل الدافئة ، كذلك يحق لهم في الشتاء اجتياز



لاب رحال واريل الشمال

الترويج والدخول في بلاد السويد وخاصة الغابات . يقدر عدد اللاب الرحل الذين يعيشون عيشة بدوية بألفي نسمة . اما الباقون ، فقد انتقلوا الى حياة نصف حضرية لتماسهم مع المدنيين ، وقد كان ذلك بمدى العصور الطويلة ، فامتهن اكثرهم صيد الاسماك وصناعة اليد ، ولكنهم لا يزالون يقيمون في اكواخهم القذرة ، بعيدين عن خصائصهم الشعبية . ان ثروتهم الوحيدة الاريل الشمالي . ويلعب هذا الحيوان دوراً هاماً في حياتهم ،لانه يشكل القسم الهام من طعامهم وملبسهم ، ولتأمين المعيشة يحتاج اللاب الى عدد كبير من هذا الحيوان ، وان من لا يملك مائة منه يضطر ان يقوم في خدمة بعض المزارعين والملاكين الكبار لتأمين معيشته .

ان المربض الذي زرناه يحتوي على ما يقرب من عشر أسر ، لها من الاريل الشمالي نحو ثلاثة آلاف ، وقد شاهدنا ايضاً عدداً طفيفاً من البقر والماعز التي تدر اللبن، وكان الأريل هناك تجول في كل مكان ، وكنا نجده على مسافات شاسعة فوق الجبال والحقول الثلجية . ولأجل البحث عنه من الضروري استصحاب عدد من الكلاب المعروفة بالكلاب الذئبية لجمعه وسوقه لمقره .

اما منازل اللاب نفسها فهي اكواخ من الحجر او الفخار على شكل مخروطي، تشبه في تكوينها قرى الفلاحين في بلادنا ، وفي وسطها الموقد الذي يتصاعد منه دخان ازرق نحو السماء . عندما اقتربنا من هذه الاكواخ قابلنا سكانها وبأيديهم أمتعة مختلفة تعرض على السواح بقصد البيع ، وجميع الامتعة المعروضة كالفرو والمسابح والملاعق والسكاكين مصنوعة من الجلد او العظام او القرون . كذلك كانت تعرض على السواح ادوات فنية ساذجة ، مثل لعبات مصنوعة من أقمشة مختلفة، تفوح منها روائح كريهة لا يطيق المرء صبراً على الدنو منها . هذه الروائح ناجمة عن عيش هذا البشر مع الحيوان في مكان واحد ، ولقلة الاهتمام بالنظافة ، شأن الشعوب المتأخرة في العالم التي ترضى لنفسها مستوىً منحطاً في العيش . وكثيراً ما كانت الماعز ترعى على اسطحة هذه الاكواخ . لا يوجد ما يجلب دقة النظر

داخل الاكواخ غير قدر كبير معلق بسلسلة خاصة ويوقد من تحته النار التي يتبدد دخانها ضمن هذا الكوخ . والظاهر ان هؤلاء الاقوام يعرفون تماماً منطوق المثل العامي الرائج عندنا (دخان يعمي ولا برد يضني)، بيد ان في ذروة السقف ثقباً رفيعاً يتبدد منه الدخان في الفضاء ، ومن هذه الثقوب يتسرب النور والمطر وقليل من الهواء، داخل الكوخ ، والكوخ معدوم الباب سوى فتحة الى الخارج تسد بالحجر او ببعض جذوع الشجر . ورغم كل ذلك فمنظر البشر ليس بقبيح . وقد كنا نعرض بعض المأكولات على اولاد اللاب، فكانوا حذرين من الغريب لا يقربونه ، ولكن الآباء والامهات كانوا يوعزون اليهم بلزوم أخذ مثل هذه المأكولات ، وأينما تجولنا نعثر على الكلاب اللابية بألوان وحجوم مختلفة ، ويظهر ان اقدم صديق للاب هو الكلب لأن جميع الحيوانات التي كانت تعيش معهم، لها مسميات جرمانية او فينية (نسبة الى فنلانده) ، اما الكلب فله اسم لابي ، واسمه عندهم (بيدناغ) Baidnagg ونستدل من وجود كلاب صيد من عرق لا يمت الى عروق كلاب اسقانديناويا ان اللاب كانوا اقوام صيد رحل ، وان الأريل الشمالي كان وحشياً في حياتهم البدوية الاولى فاخذوا في تأهيله .

ان العيش الساذج للاب يتجلى لنا في أسرة الاطفال التي هي في الحقيقة ليست الا سوق شجر محفور ، وفي الطرف الواحد سقف صغير للسرير ، والطفل ملفوف بجلد الأريل ، ويحتوي السرير على حشيش يابس لتأمين راحة الطفل ، وينصب هذا السرير على غصن شجرة قوية أو تحمله الأم في تجوالها ، وفي الكوخ ايضاً صناديق بسيطة ملونة بألوان مختلفة ومزخرفة برسوم عادية ، وقد كان اللابي يعرض كل ما يشاهده الغريب للبيع وبعشر الثمن الذي يطلبه . اما لغة التفاهم فقد كانت في الغالب الاشارات ، وفي بعض الاحيان يوجد من يعرف احدى اللغات الثلاث : السويدية او النرويجية او الفنلندية ، فاذا وجد من يتقن احداها ويترجم بيننا ، كنا نتفاهم تماماً ونعرف ما يجول في ضمائرهم .

تركنا مرابض هؤلاء القوم دون أسف ، والتي كانت اكواخهم اقرب الى

الكهوف منها الى المنازل، اولئك اللاب البعيدون عن المدنية العصرية والذين يسود فيهم القناعة والرضى بهذا العيش ، لا يجدون حاجة ماسة للاقتباس من الشعوب الذينهم يعيشون بين ظهرانيهم ، لخمول فيهم وخمود جذوة التقدم في روحهم، ولانكماشهم على أنفسهم وابتعادهم كل البعد عن الأخذ بأسباب الرقي وتبديل معيشتهم بخير منها ، فهم بعيدون جد البعد عن المدنية بالرغم من انهم يعيشون في قلبها . ماتت من نفوسهم وسائل الطموح والاقتباس عن غيرهم ما ينفعهم في تبديل حياتهم . ويؤمهم في كل سنة آلاف الزوار من انحاء المعمورة، فلا يجدون حاجة في اللحاق بقافلة الحضارة . رضوا بهذا العيش واصبحوا يعيشون على الهامش رغم ان اوطانهم تعد جزءاً من القارة الاوروبية ، وكثيراً ما عثرنا بالقرب من مرابضهم على منزل عصري لبعض النرويجيين ، فنخال انفسنا اننا بلمح البصر قد وثبنا الى الامام وثبة قرون .

ولقد اتيح لنا قبل ان نغادر مرفأ ترومزه فرصة مشاهدة اللابيين الذين يعيشون في الساحل ، ويختلفون كل الاختلاف في طراز حياتهم عن اخوانهم . هؤلاء مقيمون، يعيشون على صيد الاسماك ، واولئك بدو رحل يعيشون على تربية الأريل الشمالي. ورغم ان لاب السواحل لا يشبهون اللاب الرحالين، وقد اضطرتهم



لاب الساحل وقاربه

احوال المعيشة على الاقامة وكان تماسهم مع المدنية اكثر، فقد بقوا محافظين ايضاً على عاداتهم وتقاليدهم واشكال اجسامهم وتأخرهم كزملائهم الرحل عن ركب الحضارة، واذا تأملناهم بدقة نجدهم نحيلي الاجسام وارجلهم قصيرة معوجة، ويعزى تشكل الارجل هذا للقعود الطويل والتجديف المتواصل، فاكتسبت اجسامهم هذه الخصائص، ومن ثم انتقلت عن طريق الوراثة من السلف الى الخلف، ولكن من الغريب ان للاب الرحل نفس الصفات في الارجل، ورغم ذلك فان لاب السواحل يفترقون عن الرحل بالنحافة، وهما فرعان لعرق واحد. وقد تكوّن هذا العرق في بحر قرن واحد، هنا نجد بصورة واضحة وجلية ما للتكيف مع المحيط من الاهمية في تغيير تركيب الجسم، فان للتغير بالايلاف وتغيير شروط الحياة اثراً فعالاً في تغيير جسم الكائن الحي ومنه الانسان ايضاً.

في الطريق الى هامرفست: في السادس عشر من آب الساعة الخامسة مساء تركنا مرفأ ترومزه، وكان الجو معتدلاً والريح ساكنة والباخرة تسير بين فجوات لا تشبه المنطقة الجنوبية، لانها هنا اشبه بالاحواض، وكانت الشمس ترسل اشعتها المبعثرة من بين الغمام على البحر، ولا تزال نشاهد الاشجار على الجبال، ثم اخذت الريح بالهبوب، ولكن البحر ما برح هادئاً نسبياً. الساعة السابعة مساءً والشمس لا تزال بعيدة جداً عن الافق فوق الجبال، والجهة الشرقية مملوءة بالثلوج الكثيفة.

الساعة العاشرة ليلا والجو منير، كما هو المعتاد في المناطق الشمالية، اما البرد فقد كان شديداً يكاد لا يقدر احد ان يمكث في الخارج، ولرداءة الطقس اراد الربان ان يقلع الركاب عن الذهاب الى النوردكاب اقصى نقطة في شمال المعمور من الكرة الارضية، ولكني رجوت سيدة نرويجية، تكلمت مع ربان الباخرة وافهمته بأن بين الركاب ضيفاً نادراً وجوده، وهو من سوريا، وعلى ما يعتقدون انه السوري الاول الذي امّ هذا المكان وان هذه الرحلة ليست مما تتيسر له في كل وقت، وبعد رجاء قبل ربان الباخرة السفر الى هناك.

الوصول الى هامرفست : يوم الثلاثاء ١٧ آب الساعة الخامسة صباحا وصلنا الى مدينة هامرفست، اقصى مدينة في شمال النرويج ، لاننا لا نشاهد بعدها مدناً ابداً ، وهي في الحقيقة قرية كبيرة . عندما وصلنا اليها فوجئنا بعدد كبير من الاطفال في المرفأ، لم نشاهد مثلهم في سائر المدن النرويجية ، وقد علمنا بعد ذلك ان هذه المدينة مشهورة بكثرة الاولاد ، اما مبانيها فهي من الخشب ، بارزة بين الصخور الرمادية، وتمتاز هذه المدينة عن باقي المدن التي شاهدناها اذ انها لم تكن في السفح فحسب ، بل تمتد مرتفعة الى الجبل، وهي تشبه من هذه الجهة مدينة برغن، لولا ان هذه المدينة قد امتد القسم الاعظم منها على السفح. وان اكثر مباني مدينة هامرفست مرتفعة ، وطرقاتها التي توصل الى الكنيسة والفندق الكائن في الاعلى متعرجة .

ويشرف على المدينة تمثال صنع من الغرانيت، كائن في شمال المدينة يحمل كرة ترمز الى الكرة الارضية ، تدل على العمل الجغرافي الذي قام به كل من النرويج والسويد وروسية بين ١٨١٨ - ١٨٥٢ في قياس المدار الكائن في البحر المنجمد



النصب الجغرافي في هامرفست (المؤلف حاسر الرأس)

الشمالي من هامرفست الى اسماعيل في الطونه ، بنـاء على امر الملك اوسكار الاول والامبراطور اسكندر الاول ونيقولا الاول ، وقد اخذت صورة هذا التمثال مع اسرة من تلك المدينة وعدد من الاطفال .

في هذه الاماكن النائية لم اكن لوحدي ، بل كنت كلما وصلت الى منطقة جديدة، تعرفت بنرويجيين جدد ، فكنت امشي معهم وهم يرافقونني في نزهاتي وقبيل وصولي الى هامرفست، تعرفت بأحد موظفي المصرف النرويجي من مدينة اوزلو ، اصله من هذه المدينة، اتى لزيارة والده ، فتبادلنا الحديث ، وقد وجدت في هذا الرجل اللطافة، وكان يجيد لغات اوروبية عدة، مما سهل لي الحديث معه، وحين وصول الباخرة نزلت واياه لزيارة والده واهله واخذت صوراً لهم ، وكان يرافقنا ربان الباخرة ، وقد استقبلنا والده وباقي افراد اسرته خير استقبال ، ثم تجولنا في شوارع المدينة العالية ، فوجدت النظافة والانتظام باجمل مظاهرهما ، والمرأة هناك مثقفة مدبرة لمنزلها احسن تدبير عارفة واجبها ، فالبيوت التي كنـا ندخلها كانت في غاية الترتيب مع الوسائط المادية غير المتوفرة لدى هذا الشعب ، كما هي متوفرة لدى الشعوب الباقيـة ، وقد وجدنا في المدينة من اللطافة والظرف واكرام وفادة الضيف ما لم نجد مثله في مدينة اخرى ، والشيء الذي اثار استغرابنا انا وجدنا في هذا الشعب من النشاط والحركة وخفة الروح ما يقل وجود مثله في متوسط اوروبا .

بعد ان تنزهنا في هامرفست استأجر لنا مضيفنا سيارة للتنزه في اطراف المدينة ، و كنا كعادتنا كلما وصلنا مدينة واستأجر احد السواح سيارة يدفع احدنا عندما ننزل منها المبلغ الذي يطلبه السائق ومن ثم يدفع كل فرد ما يخصه من حصته ولكن في هذه المرة أبى مضيفنا ان ندفع شيئاً ، وكان يرافقني سواح من الالمان والانكليز، فلم يقبلوا ضيافته ودفعوا ما عليهم ، اما انا فقبلت منه ذلك شاكراً . عندما رأى النرويجي ذلك التفت الي وقال لي : « انك ايها العربي من امة تكرم وفادة الضيوف ، لذلك لم تجد ضيافتي لك غريبة » .

ودعت هذه الاسرة الكريمة وتابعنا المسير الى النوردكاب اقصى نقطة في شمال المعمور من الكرة الارضية .

طيور البحر والعوامات الجليدية :



طيور البحر في الشمال

في الساعة الخامسة صباحاً يوم الثلاثاء في السابع عشر من آب أتى الينا البحارة وايقظونا من النوم باكراً لان الباخرة سوف تمر بين الصخور المملوءة بالطيور التي تطير اثناء مرور الباخرة ؛ النوتيون يصفرون ، والصدى ينعكس على الصخور ، ويملأ الجو طيور لا يحصيها عد ، وقد كانت هـذه الطيور نوعا من الاوز الذي يطـير في السماء ويراقب الاسماك في البحر ، فيغوص في الماء ويلتقط هذه الاسماك ويطير بهـا مسافة قصيرة فوق الماء ثم يحلق في الجو ويلتهمها فوق الصخور ، واذا نظرنا الى هذه الصخور حينما تقترب هذه السفينة منها نجدها ملأى بعظام هذه الحيوانات المائية .

كان الطقس بارداً ، والعواصف تهب من كل جانب ، وفي الجهات البعيدة . كانت تتراءى نقاط بيض ، كنا نظن انها من الزبد الحاصل من تلاطم الامواج ، ولكن قص علينا بعض من ركب هذا البحر عدة مرات ، انها ليست الا عوامات جليد هائلة قد انفصلت عن منطقة الجليد الدائم وسبحت في البحار مشكلة كتلا كبيرة الى ان تصل الى مكان دافئ فتتبدد في الماء ، كانت تظهر هذه النقاط عند اقترابنا الى النوردكاب وفي الاماكن البعيدة ، ولقد جربت ان اراها بالمنظار كي أتأكد منها فلم اتبينها جيداً ، ولم افرق كثيراً بينها وبين زبد البحر ، لانها كانت

تعكس لون البحر عليها ايضاً ، ولقد اشكل رؤيتها على هذا البعد الشاسع ، سيما وان القسم الاعظم منها وهو سبعة اثمانها غائص في البحر ، ولم يبق منهـا ظاهراً على السطح الا الثمن فقط . ولم نعلم تمام العلم وجود اخطار تداهمنا الا من حذر البحارة الشديد ، لأنهم لا ينقطعون عن النفخ في الابواق وترصد الصدى من كل جانب تجنباً لحادث اصطدام قد يكون فظيعاً جداً ، لان حادث التيتانيك الذي كانت ضحيته اكبر باخرة امريكية عام ١٩١٢ قد احدث رعباً شديداً في قلوب البحارة ، ولا يزالون يذكرونه بوجل . وقد يبلغ كبر بعض العوامات الف متر ، لذلك يقتضي زمن طويل كي تذوب في الماء ؛ كانت وجوه البحارين متهللة لانهم كانوا يعتقدون انهم بعيدون عن مواطن الخطر . ولا شك ان اكتشاف الرادار سوف يقلل من اخطارها في العصر الحاضر .

النوردكاب Nordkap : في طريقنا من هامرفست الى النوردكاب ، كنا نمر على جزر صغيرة قاحلة ، كان عليها عدد لا يستهان به من المنارات البحرية بقصد اهداء السفن ، وقد اخذت هذه الجزر تقل بالتدريج الى ان تلاشت تماما . فوصلنا الساعة ١٢ وقت الظهر تماما الى النوردكاب .



منارة في الجزر الشمالية

النوردكاب عبارة عن جبل صخري فقط قاحل تماماً لا شجر فيه ولا عشب ، رست الباخرة في الجهة الشرقية منه وكان في الطرف الاسفل كوخ لصائد سمك حقير ، وبجوار ذلك فرضة لتسهيل رسو البواخر على الساحل . ويمكن

رؤية الطريق الذي يؤدي الى الذروة من الباخرة ايضاً ، في البدء خط غير منتظم يصعد في العلو بصورة فجائية ، ومن بعد ذلك طريق ملتو يمر بين الصخور الجرداء العظيمة وحقول الثلوج ، وكأن الطريق قد خططه البرق . ان اول من ترك الباخرة ليصعد الى الذروة كان مأمور البريد وهو يحمل حقيبة ثقيلة من البطاقات والشهادات وطوابع البريد المختلفة ، وكانت البطاقات كلها تحمل صورة هذا الجبل الأشم

ارتقينا قمة هذا الجبل الذي كان القسم الشمالي منه مفتوحاً يشرف على المتجمد الشمالي الذي ينتهي حيث الجليد الدائم والبرد الدائم ، والقسم الشرقي يتصل بالقسم الباقي من البلاد النرويجية المتاخمة لفنلنده ، اما القسم الغربي منه فمتصل بتلك الاقسام التي أتينا منها في هذا الصباح .



المؤلف في النوردكاب (في الوسط
وعن طرفيه بحاران)
ـ أول سوري في رأس الشمال ـ

كان الطقس بارداً نوعاً ما . واذا وقف امرؤ على قمة هذا الجبل يشعر بالفرق بين هبوب الرياح ، فالقسم الغربي دافيء نسبياً وذلك لهبوب تيار الخليج ، اما القسم الشرقي فأكثر برودة ، والقسم الشمالي يشعر الانسان منه بهبوب تيار بارد يلفح الوجوه . في هذا المكان كتاب لتدوين اسماء الزائرين ، فدوّنت كلمة باللغة العربية والنرويجية تعبر عن سروري كأول سوري اتاح له الحظ ان يطأ قمة هذا الجبل . وقد اخذت عدة صور هنا مع البحارة النرويجيين ، وارسلت بطاقات عدة لاقاربي واصدقائي في اطراف العالم ، واخذت من ربان السفينة شهادة رسمية مدونة باللغة الانكليزية تنبئ بوصولي الى هذا المكان . بعد ان تجولت في هذا الجبل الذي رست

سفينتنا في اسفله، وكانت تتراءى صغيرة في حجمها . نزلنا الى الباخرة متابعين سفرنا الى كركنيس المدينة الكائنة على الحدود .



NORTH CAPE DIPLOMA

It is hereby certified that,

M Herr Lektor Dr Mohamed Jobeh Hosseini

passenger on Havre

cruising in the Land of the Midnight Sun,

has to-day visited 17-8-1937

NORTH CAPE

the Northernmost point of Europe.

NORDKAPS VEL A/S

NORDKAPP 17 VIII 37

شهادة زيارة المؤلف الى النوردكاب

الى حدود فنلندة :

عندما استكملت الباخرة ركابها اخذت تمشي في هذه الناحية الصخرية ، ولكن النوتيين كانوا دوماً يصفرون وينعكس صفيرهم هذا على الصخر فبواسطته كان يعرف ربان الباخرة الاتجاه الذي يلزم السير اليه ، سارت السفينة بين هذه الصخور الجرداء والجو براق صاف لا يوجد ما يعكره الا هبوب الرياح الشمالية الباردة .

بعد ان تركنا النوردكاب اخذ البحر يتخبط، ولم نعد نشاهد ذلك الهدوء الذي كنا نعهده والباخرة تسير بين الفجوات او بين الجزر المتعددة المبعثرة . في الساعة الثانية بعد الظهر وصلنا الى مكان يدعى هوننغس فاغ Honningsvag وهو معد لتجارة السمك ، ومنذ اقلعت الباخرة وهي تتنقل في السواحل الجبلية القاحلة الى كويلرفورد Kijoellerfjord ،وقد مررنا هنا بقرية لا بأس بها ، وهي اول قرية بعد النوردكاب ، وقد اختفت الشمس في هذه المنطقة في الساعة ٨/٤٥ ،ولعل ذلك

من جراء الجبال ، ولكن الليل كان منيراً تماماً ، وقد اتينا الى قرية كبيرة تدعى فاردو Vardoe وفيها بعض قلاع متبقية من الحروب القديمة التي شنت بين هذه المملكة ودانيمارك ، وقد كان وصولنا اليها في صباح يوم الاربعاء ١٨ / ٨ / ٣٧ في الساعة السابعة والنصف .

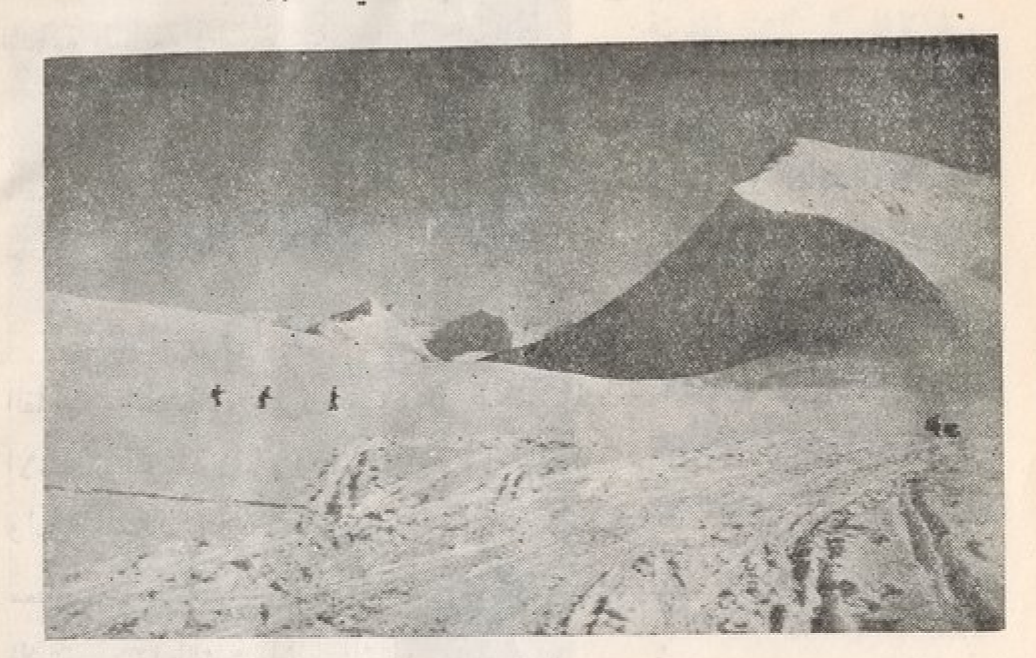
كان في الصباح الطقس بارداً نوعا ما، وكانت الباخرة لا تزال تمشي في المحيط بالقرب من السواحل الجبلية، وقد اخذت الصخور تتضاءل . وكثافة السكان قليلة جداً في تلك السواحل، لا يرى الانسان الا بضعة اكواخ حقيرة لصائدي الاسماك .

كان البحر في الليل مختبطاً جداً ، اما في النهار فهو معتدل في المنطقة الشمالية القاحلة ، الخالية من المزروعات ، على عكس المنطقة الجنوبية حيث كنا نصادف الاشجار المختلفة والمزروعات المتباينة ، اما البرد فقد كان شديداً يكاد لا يحتمل ، ولكن السكان يرون الطقس جيداً ، رغم انه لا يستطاع المكوث في الفضاء دون معطف غليظ ، والقيام بحركات عدة بقصد الحصول على الحرارة ، وذلك في الصيف ، فما بالك في اشهر الشتاء .

كركينس Kirkines (الحدود بين النرويج وفنلنده) : في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الاربعاء وصلنا مدينة كركينس وهي مدينة في شمال النرويج بعد النوردكاب، كائنة على حدود فنلنده تبعد عنها خمسة كيلومترات فقط، يكثر في اهاليها الدم الفنلاندي ، والمدينة كائنة ايضاً في سفح جبل مثل باقي المدن النرويجية، لا يتجاوز عدد سكانها اربعة الآف نسمة، وهذا عدد لا بأس به في بلاد النرويج الشمالية .

هنا الجبال واطئة جداً ، ويبدأ من هذه المدينة سهل يدخل ضمن الاراضي الفنلندية ، بلاد البحيرات الخالدة ، كما ان النرويج بلاد الفجوات الدائمة . كانت السماء حين وصول الباخرة معتدلة، والشمس دافئة، لأن الجبال تحيط بالمدينة، وعلى سيماء اهلها شيء من الفتور لم نعهده في السكان الجنوبيين

كانت الجبال واطئة وواسعة القمة، والبحر هادئاً ، والجو رائقاً، اقرب الى الحر منه الى البرودة ، والمناظر اقرب ما تكون مملة ورتيبة على وتيرة واحدة ، وكنا نتبين في الاماكن البعيدة عن الساحل بعض الاراضي الثلجية .



الاراضي الثلجية في الشمال

بعد ان تركنا هذه المدينة (مدينة الحدود) وقفلنا راجعين ، كانت المنطقة جرداء ، لا يرى الانسان فيها شيئاً، فلا بيوت ولا قرى ولا صائدي اسماك ولا شجراً ولا عشباً، حتى ان الطيور التي كانت ترى كثيرة وعديدة لا نرى هنا منها الا نادراً ، واذا نظرنا الى مؤخرة الباخرة لا نرى حتى طيور البحر التي تطير وراءها .

الرجوع الى هامرفست والى برغن فستفالقر : سرنا في هذه المنطقة، وقد اتيح لنا ان نشاهد بامعان ما غفلنا عن رؤيته حينما اتينا اليها عند الصباح ، وقد كانت المنازل بين كركينس وفاردو اقرب شبهاً الى اكواخ المهاجرين منها الى منازل حقيقية . وقد رست الباخرة في الساعة السابعة مساء في قرية تدعى بوت فيورد Bootfjord (فجوة القارب) وهي قرية صغيرة لا يتجاوز سكانها اربعين بيتاً لا تفترق

كثيراً عن فاردو في فقرها وقحلها وبؤس سكانها .

يوم الخميس ١٩ آب الساعة التاسعة صباحا كنا في مياه هامرفست ، وكان الطقس في هذا اليوم مختلفاً جداً ، قد هطلت امطار غزيرة ، وكانت الغيوم متكاثفة في السماء ، والباخرة تمشي من بين الغيوم الدكناء ، وقد مرت الباخرة بمضيق النوردكاب ثانية ، دون ان نصعد اليه في هذه المرة ، وتابعنا مسيرنا الى هامرفست .

في هذه المرة كانت الشمس تشرق من بين الغيوم ، وتنير هذه الجبال المسطحة والبحر ، وقد كانت المناظر مختلفة بين النور والظلمة ، لم نرَ مثلها في اسفارنا البحرية في هذه المنطقة الشمالية ، وتذكرنا هذه المناظر بالمناظر التي رأيناها في المنطقة البرية في شتالهايم . ورغم تكاثف الغيوم فان البحر هادئ ساكن . وكانت الباخره تسير بين الاحواض في مناطق الهضبات ، وقد مررنا في مكان ضيق ، والفجوة هنا كانت اقرب الى نهر منها الى الفجوات الجنوبية المعهودة ، وكثيراً ما نرى على الطريق الجبال الحجرية المكونة من الاحجار الرسوبية الكلسية ذات الطبقات .

بدأت الخضرة تظهر شيئاً فشيئاً ، والعشب أخذ بالظهور ، ومن ثم بدأت الاشجار بالبروز ايضاً ، تلك المناظر التي كنا قد فقدناها في المنطقة الشمالية .

وهكذا تابعنا مسيرنا في الرجوع من كركينس الى ستافنغر ، ومن ثم الى هامبورغ ، وقد شاهدنا نفس المناظر التي كنا شاهدناها عند الذهاب ، ولكن بصور جديدة ، لها جاذبيتها للمشاهد ، وطبعاً مللها للقارئ ، ولم يوجد شيء يسترعي النظر في الرجوع الا معرض برغن والمتحف الذي وصفنا شيئاً منه عند كلامنا عن تلك المدينة الهامة التي تسمى هامبورغ النرويج .

فوائد الرحلة

اذا كنت قد ضربت صفحاً عن الكلام عما شاهدته في المرة الثانية في الرجوع، فلا بد لي من ان اقول كلمة مقتضبة عن فوائد هذه السفرة ، ولعل في ذلك تذكرة لأولي الالباب .

كان لرحلتي فوائد علمية وادبية وفنية :

تنحصر الفوائد العلمية في ثلاث نواح : جغرافيـة وجيولوجيـة واجتماعية . هذا عدا عن الفوائد الحيوانية والنباتية التي ذكرتها بصوره طفيفة اثناء زيارتي للاصقاع المختلفة كالأريل الشمالي وكلاب اللاب والاوز البحري والنباتات الاربة الشمالية وغير ذلك .

وفيما اذكره اني شاهدت قرب مياه « هامرفست » الهلاميات الجوفية التي تعوم على سطح البحر ، وقد كان من يريد السباحة في تلك المياه يسعى جهده ان يجنب الاصطدام بها ،خوفاً من ان تلتصق في جسمه ، فتسبب له قروحات دامية . اما لونها فقد كان اصفر فاتحاً، وهي تملاء الساحل بكثرتها ، ولم اشاهد وضعيتها في حالة السكون ، بل كانت في حركة دائمة من صعود وهبوط وحركات جانبية مختلفة

لا اود ان اكرر الفوائد الجغرافية من مشاهدتي طبيعة المنطقة القطبية ، وادراك مسير الشمس في الصيف ، والاطلاع بصورة محسوسة على تيار الخليج وغير ذلك من الامور التي دونتها ضمن رسالتي هذه ، ولا بد من ان اقول كلمة اخرى عن هذا التيار :

ان تيار الخليج الدافئ يعدل حرارة الجو على طول الساحل النرويجي ومما قاله لي البحارة بان كثيراً من البحارين كانوا يشعرون بالتيار الدافىء ، بدليل أن المشروبات في القسم الاسفل من السفينة كانت تبقى دافئة ، وهكذا عرف السواح في البحار هذا التيار قبل ان يميط عنه البحث العلمي اللثام . ومن الفائدة ان

اذ كر بالمناسبة ما قصه علي احد علماء الجغرافية من سكان ذلك الصقع، تلاقيت واياه في تلك الاسفار : انه في عهد الملك شارلمان المعاصر لهارون الرشيد، كانت جزيرة غرئنلاند الكبيرة معتدلة الحرارة، وذلك للتيارات الدافئة التي كانت تمر بتلك الجزيرة، حتى ان اسمها يشتق من المراعي الخضراء . فلا بد انها كانت في ذلك الزمن ارضاً خضراء . ومنذ خمسمائة عام لا اكثر، كان فيها ما لا يقل عن اربعين قرية ورئيس روحاني، ولقد كانت مزدهرة . اما اليوم فقد اصبحت كتلة جليدية ، ولقد بين الرحالة نانزن Nansen الذي قطع هذه الجزيرة من ادناها الى اقصاها بان غلظ الطبقة الجليدية فيها يبلغ اليوم ثلاثمائة متر .

اما السبب في هذا التحول فيعزى الى تغير التوضع الذي حصل في الارصفة المرجانية الكائنة بين امريكا وغروئنلاند، مما سبب تغيراً في اتجاه التيار المكسيكي، وحوله عن هذه الجزيرة ؛ ولكنه لا يزال يمر الى اليوم على غربي اسقانديناويا ويلطف من برودتها ، ولكن الى متى سيبقى ؟ فان ذلك طبعاً نظراً للتغيرات التي تطرأ وتسبب تحول هذا التيار ايضاً ، ويوم يحدث ذلك يسبب انقلاباً هائلا في هذه البلاد، وستتغير طبيعتها وسينتهي عند ذلك التمتع بهذا الجو المعتدل، اما في الوقت الحاضر فلا يزال التيار يمر في الساحل النروجي من ادناه الى اقصاه، ورغم ان هذا الساحل ممعن في الشمال ، فانه لا يعادل الاقاليم الشمالية التي هي بحذائه .

ان الفائدة الجيولوجية من رحلتي هذه، اني اطلعت على تراكيب تلك الصخور من رسوبية واندفاعية ومتحولة ، وعلمت ان اقدم الصخور في تلك المنطقة يعود الى اقدم الاحقاب، اعني الاراضي الابتدائية، ولعل لتلك الصخور اتصالا بالدور الارشائي لفنلانده . واذا اعتقد العلماء بامكان تكون الكائنات الحية ضمن الصخور المتحولة القديمة ، فأن هذا الامكان لبعيد، نظراً للصخور التي عثرت عليها هناك ، فاني وجدتها لا تحوي اي اثر لحيوان اونبات . اما وجود الفحم في منطقة شبيتسبرغن، فينبنى على ان تلك الاراضي القطبية المتاخمة للقلنسوة الجليدية، يرجع عهد تكونها

للحقب الثاني ، وان آثار النباتات التي عثر عليها المنقبون بين تلك الجموديات الخالدة ، لتدل دلالة واضحة على ان هذا الصقع البارد ، كان ينعم في ذلك الماضي السحيق بجو حار تماماً اشبه بجو خط الاستواء ، لأن تلك النباتات التي استحالت الى فحم حجري لا يمكنها ان تعيش الا في منطقة حارة جداً . من ذلك نستنتج ، ما للتغيرات في الطبيعة من اثر فعال ، فلا شيء يبقى على حاله في هـذا الكون ، بل كل شيء في تغير وتبدل مستمر .

في الطريق الى شبيتس برغن
المنطقة الجليدية الخالدة

من وضعية الطيات في سلاسل تلك الجبال النائية يستنتج الباحث ما حدث من الحركات العنيفة التي مرت على تلك الجبال ، فكانت السبب في ايجاد هذا العلو الشاهق الذي يبرز فجأة من بين الفجوات المختلفة . وان تلك الطيات القائمة المبذولة في السلاسل تبين العلة الباطنية في انتصاب تلك المرتفعات العجيبة الشكل .

اما الفجوات نفسها فتظهر فيها آثار الجموديات القديمة التي كانت سائدة في ذلك الصقع ، دالة على ما للعصر الجليدي من دور هام في حدوث هذه المناظر وفي امعان البحر في البر ، هذا الامعان الشديد الذي لا مثيل له في العالم . وفي الوقت الذي كان فيه للجموديات القديمة في مناطق متوسط اوروبا وجزء من اسقانديناويا من تأثير في تكون البحيرات ، كالبحيرات التي في ضواحي برلين وفنلنده ايضاً ، نشاهد تأثيرها في تلك المناطق اعني النرويج في هـذه المستطيلات

المتناهية الناجمة على ما يظهر من انزلاق الجليد المتمادي مكوناً نهراً جليديا وجد مصبه في البحر . وانا لنجد التأثير الجليدي القديم في آثار القلاعات القديمة .

من الامور التي تجلب نظر الجيولوجي المدقق انه يشاهد بشكل وضوح التجانس بين هذه الصخور والصخور المنفردة على سواحل بحر الشمال في المانيا والغريبة عن تلك المنطقة، والمعروفة باسم الصخور الضالة والتي كان منشؤها في هذا القطر ، وهي من الصخور التي حملتها الجموديات القديمة من اعلى الجبال وحطتها في السيول الجليدية (ان صح هذا التعبير) ، في هذه المنخفضات النائية، ثم فصل الماء شبه الجزيرة الاسقانديناويه عن شمال المانيا ، وان هذا التجانس هو الذي عرفنا ما كان يجري في القديم وسهل علينا معرفة اتصال البرين .

من الاشكالات التي تحصل في الصخور الاندفاعيـة والمتحولة في النرويج يتشكل البوكسيت Bauxite وهو فلز هام لاستحصال الالومينيوم ، واول ما عرف في فرانسه ، وتستخرج النرويج من هذه الخامات ١٨٠٠٠ طناً سنويا وقد كنت بينت كيفية حصول الاشكال هذا في رحلاتي الداخلية .

ان الدور الارشائي الذي راقبته عن كثب يتميز بضخامة الصخور ووجود صخور بلورية هي من قبيل الميكاشيست المتحولة عن الغرانيت والتي يشاهد فيها الانسان آثار الضغط والتبلور بكل وضوح ، وتتميز هذه الصخور ببروق صحائفها ولونها الابيض الفضي الذي يكسب هذا الجبل لمعاناً بديعاً ، ان مثل هذه الصخور تشبه أيضاً الصخور الرسوبية لولا وجود البلورات ولكن يشاهد الانسان آثار الضغط من التصفح الرقيق الحاصل . وقد يرى الانسان من منظر هذه الجبال آثار الالتواء والتكسر وانزلاق الصخور على بعضها بعضاً . وقد كان نوع هذا الصخر من الشيست لفقدان الفلدسبات . أما كيفية انتزاع مادة الفلدسبات ، فيغلب على الظن انه جرى ذلك (عدا عن حادث التغضر Kaolinisation – الذي يتم بواسطة غاز الفحم والماء المتمادي –) بتأثيرات فيزيائية ديناميكية ذات منشأ تكتوني ، ولم يسعفني الحظ مع الأسف لمشاهدة التمادي في التآكل وحصول

الألومين المائي . ولم أعثر أيضاً على آثار الحياة بين هـذه الصخور ، ولا على المستعدنات الثمينة التي ترافق الصخور المتحولة .

اما تكوّن الجبال نفسها ، فهي في هذه المنطقة تنطبق في كثير من الاحيان مع نظرية الحرارة الارضية المعهودة التي اكتشفت في بادئ الامر في جبال الألب ، والتي منطوقها ان الصخور قد انخفضت الى ان وصلت الى السائل الناري ، ودفعت الحرارة وما يتبعها من تمدد الى تشكل التلاع وارتفاع الارض ، وخاصة عندما لم تستطع الصخور ان تتملص من قوى الاندفاع الجانبية ، وهذه الحرارة هي السبب في التغضن وتشكل هذه الجبال ، وبهذه الطريقة يمكن تفسير كثير من الصخور المتحولة الكائنة في ذرى الجبال دون مشاهدة المصدر الاندفاعي بكل وضوح .

أما ما يجلب النظر هو حدوث التشكلات المتنافرة التي تكاد تكون في جميع طبقات هذا الدور ، وهذا دليل على ان حوادث جسيمة قد حدثت في هذا التاريخ ، فتشكلت على مسافات شاسعة الجبال ذات الطيات التي حصل فيها تعرية مرة اخرى وتنضدت فوقها طبقة جديدة .

هي لمحة مقتضبة ، ولا اود التمادي في هذه المشكلة العلمية التي اتضح لي اهمية اثارتها من زيارتي لسلسلة هذه الجبال ، واحيل القارئ المحب للبحث الى موضوعين نشرتهما في الاخبار العلمية لمجلة الاديب (حزيران وآب ١٩٤٨) بعنوان : « حركة القشرة الارضية وتشكل الجبال » ، « بدء الحياة على الارض » .

ان الفائدة الاجتماعية عظيمة جداً ، ولكني لم استفد منها الفـائدة المرجوة لعدم اختصاصي في ذلك ، ومهما كنت بعيـداً عن هـذا الحقل ، فقد اثار اهـتمامي لدى المقـارنة بين لاب الاريـل ولاب السواحـل ، مـا للتأثير البيئة من اهمية في تكييف الجسم والمظاهر الخارجية . وقد رأيت بأم عيني شعباً بدوياً رحالا يعيش بجوار شعب مدني ، بلغ في مضمار الحضارة والرقي شأواً بعيداً ، ومع ذلك لم يتأثر طراز حياته منه ، حتى ان لاب السواحل الذين هم نصف متحضرين لم يتأثروا بالحياه المدنية ، وان هذا لدليل واضح على ان الانقـلاب في

طراز الحياة لا بد أن يسبقه انقلاب في الحياة النفسية ، والا فان التأثيرات الخارجية لا جدوى منها ولا فائدة فيها . هنا نرى جلياً أثر الآية الكريمة : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وان الحاجة التي هي الاساس الهام في التطورات البشرية لا تدرك ، ما لم تكن هناك نفس تواقة الى المعالي غير راضية بالكفاف من العيش . فالتأثيرات الخارجية اذن لا فائدة منها اذا لم يحصل انقلاب نفسي . فالشعب اللابي الذي يعيش بين ظهراني الشعوب الاسقاندناوية لم يتأثر لأن نفسه خاملة لا ترى ضرورة لهذا التأثر . وهو نفس السبب في وجود اختلاف كبير بين الشباب الذي قصدوا ديار الغرب ليرتشفوا مناهل العلم فيه ، فهناك من عاش في الغرب وكانت نفسه تواقة الى الرذائل فلم يقدر ان يستفيد الا الخلاعة والمجون والاستهتار بالقيم الاخلاقية ، اما ما وصل اليه الغرب في امر التنظيم والتقدم العالمي فأمر بعيد عن نفسه ، وفريق آخر كانت روحه ميالة لمعالي الامور ، فوجد في نفسه الحاجة الماسة ان يستفيد من الغرب ما ينفعه في التقدم والرقي ، وعلى ضوء هذا التحليل يجب ان نعرف جيداً كيف ننتقي الاكفاء ممن نوفد من الطلاب والطالبات للاستفادة من تلك الديار ، واذا كنا نستغرب وجود هذا الشعب اللابي بعيداً عن ان يتأثر من حياة المدنية التأثر الكافي وهو يعيش في قلبها ، فيلزم ان نستغرب ايضاً من ضآلة تأثرنا في الأخذ باسباب الرقي مع اننا لسنا بعيدين عن الاتصال بالحياة الغربية . هناك المهمة الكبرى الملقاة على كواهل مثقفينا وقادة الرأي فينا ، الا وهي خلق الاسباب وتوفير الوسائل للاقتباس من الغرب ، كي لا نكون مضرب الامثال في التأخر ، كما تضرب الامثال في الشعوب التي يعتقد بعض ارباب النظريات الاجتماعية بان جذوة الاخذ باسباب الرقي واستلام الزعامة في ميدان العمران قد خمدت في نفوسهم .

اننا نشعر طبعاً بتأجج بصيص ضئيل من نار المعرفة ونورها في نفوسنا ، ولكن نخشى على هذه النار ان تنطفئ بتعاقب الزمن ان وجدت في محيط بارد ولم تنفخ من جديد في كل فرصة سانحة . من التدقيق في الشعب اللابي يتضح لنا ان المعول

في كل رقي وفي تبديل الاوضاع الاجتماعية على الانقلاب النفسي .

ان الفوائد الادبية عديدة ومن الصعب على حصرها .

للمرة الاولى في حياتي اجد منطقة كبيرة مشت فيها الباخرة اثني عشر يوما من ستافنغر الى النوردكاب ، كلها منطقة جبلية . فهنا في هذه المنطقة اتضحت لدي تلك الفكرة الهائلة ، التي كنت سمعتها بان العالم مكون من امواج صاعدة وهابطة، فليس من صعود الا ويعقبه هبوط ، ولا حياة الا ويعقبها موت ، والطبيعة لا تهدم من طرف الا لتبني من طرف آخر. اننا لنجد هذه الدورة الدائمة في العالم الكوني الصغير ، ونحكم بوجودها لدى البحث والاستقصاء في العوالم الشمسية الكبرى ، ولادة فموت ، موت فولادة ، جبل فواد ، واد فجبل . ولا يكاد المرء يؤمن بهذه الفكرة الا عند رؤية منطقة مثل منطقة النرويج، التي يشعر فيها الانسان ـ كما كتبت ذلك في سجل الضيوف في النوردكاب ـ بضربات نبض الطبيعة . هنا الارتفاع والهبوط الدائم ، هنا الموجات المتغيرة العظيمة المستمرة .

اذا ساح امرؤ في قطر من الاقطار ، وشاهد سلسلة جبال غير متناهية ، ينتظر ان يرى بعد ذلك سهلا واسعاً . هذا الحس وهـذا الشعور يعترينا كلما درسنا ارضاً جديدة لا عهد لنا بها من قبل ، ولكن هنا في ارض النرويج لا نرى الا الجبال. هنا يمكننا الايمان بفكرة الموجات الدائمة، موجة الصعود وموجة الهبوط: ارتفاع فانخفاض ، انخفاض فارتفاع . من ادرك ذلك بهذا المكان الجبلي يشعر بهذا الشعور ايضاً ،عند ما يأتي الى مناطق السهول الفسيحة ، حيث في المناطق الاخرى صعود وهبوط ايضـاً، وان كانا بصورة غير جلية ، وقد ادركت ايضاً الشوق العظيم الذي يعتري الانسان لرؤية مناظر بلاد لا عهد له بها من قبل، ففهمت لماذا اعرب ذلك الشاعر النرويجي الشهير في الغرب وغير المعروف في الشرق ايبسين في قطعته المعروفة « برغينت »، عن شوقه الى الصحراء . وقد اتيح لي فهم قطعة هذا الشاعر «روزموروزهولم» عند زيارتي لبلاده اكثر من ذي قبل، نعم اني فهمت قصد الشاعر بأن صرح السعادة يندك عندما يتغلغل الانسان في معنى الكرم والشهامة ، ولكن

تلك الامثال التي يضربها والرسوم التي يصورها والاستعارات التي يتخذها لم اتمكن من ادراك مرماها ، الا عندما يممت تلك البلاد ، وتيقنت ان الادب وبيئة الادب شيئان لا يمكن فصلهما عن بعضهما بعضاً ، وكذلك الامر في الفن .

من زيارتي للنرويج تيقنت ان الانسان لقادر على ان يمهد الصعوبات اذا عزم عزماً اكيداً على ذلك ، عندما كنت اقول لمواطني يجب علينا ان نشتغل لنجاري الغرب ، كانوا يقولون لي ان نفوس سكان الغرب كثيرة ونفوسنا قليلة ، فكنت احار في اجابتهم على هذه العبارات المثبطة للهمم ، اما عندما رأيت اراضي النرويج ، شاهدت امة قليلة السكان ، اذ يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين وان اكبر مدينة عندهم هي اوزلو يبلغ عدد سكانها ٢٥٠ الف نسمة ، وثاني مدينة هي برغن يبلغ عدد سكانها ١٠٠ الف . وثالث مدينة تروندهايم ، يبلغ عدد سكانها ٥٠ الف ، وباقي المدن في الحقيقة تعد حتى عندنا مدناً صغيرة ، ومع ذلك كله ومع سعة بلادهم وقلة عدد سكانها ووعورة اراضيها وفقرها ورداءة الجو ، تمكنوا بهممهم العالية من جعل بلادهم جديرة بالسكنى ، ولولا تيار الخليج لكانت قفراً يباباً . لقد عبدوا الطرقات وشيدوا المباني واسسوا الشركات ، وبذلك اتوا باعمال عظيمة جبارة ، هنا نرى ان همم الرجال تقلع الجبال . لا ، لا ، لا همم الرجال فقط ، بل همم النساء ايضاً فهمم الرجال على ما نشاهد في هذا القطر لا تقلع الجبال اذا لم تقترن بها همم النساء ايضاً . ولله در الشاعر حيث يقول :

يرفع الشعب فريقا ن اناث وذكور
وهل الطائر الا بجناحيه يطير

هكذا اشتغل النرويجيون متكاتفي الايدي فعاشوا عيشة راضية ومهدوا السبل واقاموا التجارات ، مع ان اراضيهم تكاد لا تصلح لشيء . يمكننا اذن ان نتخذ هممهم القعساء كعبرة لنا في الرقي . فاذا كانت همة النرويجي قوية جداً وهو في هذه الارض القاحلة والنفوس القليلة . فلماذا لا تكون همتنا قوية ، ونحن في هذه الارض وهي من اغنى بلاد العالم ؟

ان الفائده الجديرة بالاهتمام منا ، كون النرويجي يعرف الحدود في اظهار فضائله، فهو مثلا يكرم الضيف ولكنه يتخذ كل الاسباب لقطع دابر منافسة الاجنبي ، انه لا يألو جهداً في ان يكون حذراً من ان يقطع عليه الغريب طريق العيش . فممنوع على كل اجنبي مثلا ان يدخل بـلادهم لكسب الدراهم ، لان طرق المعيشة عندهم صعبة، ويجب عليهم قبل كل شيء ان يفكروا في انفسهم ، فتجدهم رغم كرمهم لوفادة ضيوفهم عارفين بامور اقتصادياتهم لا يدعون مجالا للغير ليسد في وجههم باب الكسب ، وهذا ولا شك حق من حقوقهم .

من أهم الفوائد التي استفدتها انه يمكن التفاهم بين انسانين مختلفين في العقيدة والوطن اذا كانت هناك نية طيبة ، كما ان التكالب على حطام الدنيا واتخاذ المنافع المادية مطلباً سامياً يقتل جوهر النفس ويميتها . اذا أردنا ان نقارن بين الشعبين العربي والنرويجي نجد الفرق شاسعاً من جميع الظواهر ، ولكن رغماً عن هذا الاختلاف الظاهري فاني أحسست بأن النرويجي قد فهمني وفهمته . اني أجهل عوائده ولغته . نعم ان اللغة النرويجية قريبة للغة الالمانية التي اجيدها والانكليزية التي أعرفها قليلاً ، ولكن هذه القرابة كانت لا تكفي للتفاهم عن طريق الكلام . حاولت أن أتكلم بلغتهم بعد مكثي مدة من الزمن هناك ، ولكن جاء نطقي أقرب الى الخرس منه الى الكلام . لم أتعلم من اللغة النرويجية في هذه المدة القصيرة شيئاً كثيراً ، ولكني فهمت النرويجي وفهمني ، فتفاهمنا صامتين ، وتكلمنا بلغة القلوب الحية ، لا بلغة الكلمات الفارغة التي لا تهدي الى التفاهم سبيلاً . وثقت بالنرويجي ووثق بي ، فمشينا كأخوين وافترقنا كصديقين، وكل منا يحمل لصاحبه ذكرى طيبة وسروراً للتعارف ورغبة باللقاء .

هذا هو شعوري في هذه المدة الوجيزة ، بتعرف بسيط ، بكلمات قلائل ، فتح لي النرويجي داره وأدخلني منزله كضيف ، وأراني بلاده وما تحويه من آثار كصديق ، وودعني كأنه قريبي ، وكأنه يعرفني من دهر طويل .

اذا سألت نفسي يا ترى كيف يتعرف عربي بنرويجي بهذه المدة القصيرة، رغم بعد الدار واختلاف الجنس والاقليم والمحيط والبيئة وجميع العرف والعادات

المألوفة ، لوجدنا ان هناك شيئاً واحداً يجمعنا ، ألا وهو العيش مع الطبيعة ، لأن الرجوع الى الطبيعة يجعل الغريزة حية ، وان هذه الغريزة الحية هي التي جمعتنا ، وهي التي تجعل التفاهم بلغة القلوب ممكنة ، والا جهل بعضنا بعضاً جهلاً شديداً ، وأنكرنا أنفسنا نكراناً شنيعا ، ولمشى كل واحد منا مشيحاً بوجهه لاوياً ظهره عن أخيه، غامضاً عينه عنه ، جاعلاً في أذنيه وقراً عن سماع صوته . والحياة بالتفاهم لذيذة مثمرة ، كما انها بلا تفاهم مؤلمة عقيمة لا جدوى لها ولا لب ، صحراء قاحلة، لا واحة فيها ، وليل مظلم لا يجد نور الشمس اليه سبيلاً .

ربما يظن اني قد غلوت في القول ، والتجأت هنا الى الخيالات الشعرية التي لا حقيقة لها في الواقع، لان من يصبو الى مثل اعلى يقع في خطأ رؤية مثله على الارض، حتى اذا شاهد دليلا واهيا مما يؤيد خياله،طار عقله فرحا وظن ان حلمه قد تحقق، وما ابعد الاحلام عن الحقائق ، نعم ،وقع في هذا الخطأ كثيرون ، وانا كنت لهم من المنتقدين ، فلا اود ان انهى عن خلق وآتي مثله ، ولا اود ان يفهم كلامي على غير وجهه . ليس النرويجي ملكا كريما يعيش على الارض، فهو ايضا مثلنا متصف بكل الفضائل والرذائل الانسانية . وقد رأيت في تلك الديار شجاراً وقع بين اثنين ادّى الى عراك عنيف جرى فيه الدم ايضا ، وقد سمعت ببعض الحكايات غير الاخلاقية كالتي تجري في باقي بلاد العالم ،كالخيانة وغيرها . ولكن ما رأيته في تلك البقاع من السذاجة عند عامة الشعب لم اكد أراه في اي بقعة اوروبية اخرى وطأتها قدماي ، فالغريب يشعر باشعاع روح الثقة - وان كانت الى حد معين - وهي التي توقظ روح ثقة جديدة .اني وجدت النرويجيين ، (رغم انهم لا يجهلون العالم والحوادث التي تجري في الكون) ، كالأطفال الذين قال في حقهم عيسى القول المأثور: « لن تدخلوا ملكوت السماوات حتى تكونوا ابرياء كالاطفال » ، أو كما قال فيهم نيتشه في كتابه المأثور : هكذا تكلم زرادشت « هم ابرياء حتى في خبثهم » .

هذه هي طبعاً ملاحظاتي قبل الحرب العالمية الثانية ، وانه من الغامض لدي معرفة اي دور لعبته الحرب المدمرة التي يكثر فيها الاجرام ،في تبديل اخلاقهم

لا ادري الى اي حد قد اصبت الواقع في قولي، ولا ادري الى أي حد غلوت ،

ولكن هذا هو شعوري في هذه الرحلة شعور احس به من اعماق قلبي . النرويجي دائم الاتصال بالطبيعة ، بعيد عن ضوضاء المدنية وغوغائها ، يشاهد البحر في هدوئه وطغيانه ، يرى السماء بصفائها و كدرها . يسمع صوت الشلال المائي وهو ينحدر من اعلى الجبل الى الهاوية ، يرى الغيوم وهي تسير في كبد السماء . هو قطعة من الطبيعة ، لذلك كان شعوره الطبيعي صافياً ، النرويجي يجمع الاضداد في صدره ، وينطق بها في فنه وان هذا التضاد قد اخذه من طبيعته ، فرسومه مستمدة من الطبيعة التي عرفت النور الوضاء الذي يكاد لا يعرف الظلمة ، والظلمة القاتمة التي ليس فيها الا بصيص من نور . فهو خفيف الروح على جانب عظيم من الجد الذي يقرب من الحزن ، لانه يرى طبيعته ان جادت بالنور فهي تخبئ له ظلمة قاتمة .

ان هذا الشعور بالظلمة القاتمة اشهر الشتاء في برده القارس ، وبالنور الوضاح اشهر الصيف ، جعل من طبيعة الانسان الجمع بين الضدين في النفس ، بين الخفة في المزاح والرزانة في الجد ، ورغماً عن هذا التضاد فهو متناسب الطبع ، حكم هذه المضادات وسهل عليه هذا الحكم ، لابتعاده عن سفاسف المدنية وطلائها الكاذب الغشاش .

اذا نظر العالم نحو المستقبل بعين الخوف والوجل ، لأنه يعلم ما يخبئ له المستقبل من تخريب وتدمير وحروب طاحنة ، وثورات دموية هائلة ، ينظر النرويجي الى المستقبل بعين ملؤها الثقة والاطمئنان . هو بعيد عن الطمع في ان يلعب دوراً كبيراً على المسرح العالمي ، هو يريد العيش بصداقة مع الامم ، لا يود ان يفتح بلاده احد ، وهو لا يطمع ان يفتح بلاداً غريبة قط ، وان وعورة ارضه وعدم احتوائها على الكنوز الاقتصادية عدا عن الفحم والالومينيوم اللذين نوهنا عنهما جعل بلاده بعيدة عن اطماع الطامعين ، فالغريب لا يريد الا ان يتمتع بجمال هذه الطبيعة ايام الصيف ، وبعد ذلك يرجع من حيث اتى .

سمعت عندما كنت على حدود فنلانده بان الروس يطمعون في استملاك منطقة النوردكاب ، والسبب في ذلك ان تلك المنطقة في البحر المتجمد الشمالي قابلة لسير السفن ، لهبوب تيار الخليج الدافئ عليها ، ولكن هذا الخوف لا يشبه القلق النفسي

الذي عليه باقي الامم الاوروبية قبيل الحرب الاخيرة .

ان النرويجي غير قادر على الدفاع عن بلاده اذا داهمه خطر خارجي ، ولكنه رغماً عن ذلك ينظر الى المستقبل بعين الطمأنينة والسكون .

الحروب الدامية أراحت هذه الارض عدة قرون ، فخيّم السلام في ارجاء هذه البلاد ، ومن حقن الدماء تكوّن ذلك الانسان المطمئن للمستقبل .

هذه الطمأنينة النفسية كنت اقرأها على وجوه الجميع ، ولكن القدر قد سخر من هذا الشعب ، فلم تصن الحرب العالمية الثانية ابناءه ، بل زجّ في أتونها وهو بريء من ان يتحمل وزرها . هكذا كنت أشعر ، ولقد أيد شعوري هذا أحد الاصدقاء ، وكنت على اتصال به وهو من مدينة أوزلو العاصمة ، ولم يقطع هذه الصلة الا ضربات الحرب الماضية . كانوا ينظرون لبلادهم نظرة سعيدة ويغبطون انفسهم على هذه السعادة ويتألمون لمصاب غيرهم ، ولقد كتب لي الصديق الذي نوهت عنه هذه العبارة في أواخر تموز من عام اعلان الحرب العالمية الثانية :

« نعم ، اننا سعداء ان نعيش في النرويج البلاد الآمنة المطمئنة البعيدة عن أي خصام داخلي وخارجي ، ولكن نتألم حينما يحمل الينا الأثير بين طياته اخباراً مؤلمة حزينة عن العالم وعن الطمع والبغضاء بين الناس ، ولا نفهم لماذا يتقاتل البشر ؟ »

انه وايم الحق لظلم القدر وعبثه ان يصاب هذا الشعب ، الذي يحمل بين جوانحه هذا الشعور النبيل بما أصيب في الايام الاخيرة . اني لا أصدق عندما كنت اقرأ في الصحف في أيام الحرب عن الحوادث في برغن ، تروندهايم ، ستافنغر ، وغيرها من البلدان ، وأقول في نفسي كيف تبدّل مفهوم هذه المواقع من سلم دائم الى حرب طاحنة مخيفة . هكذا كان يخبئ القدر لهذا القطر الايام السود التي هم عنها غافلون .

وحينما سطرت رحلتي كنت قد قلت :

« لا ادري وانا ذلك المخلوق المنسوب الى الشرق العربي الذي شاهد من غدر الزمان ما شاهد ، هل المستقبل سيبقى لامعاً براقاً لذلك الانسان البريء الأعزل ام ان الخطر المدلهم المقبل الذي يشعر فيه كل منور يعيش في القرن العشرين سوف

يجرف هذه الارض ايضاً ؟»

وقد اجاب الزمن على سؤالي فكانت من جملة الضحايا البريئة في الحرب العالمية الماضية . ولم يكن يدر بخلدي قط، ان في الاماكن الجنوبية من النرويج على مقربة من ستافنغر حيث تنحدر شلالات عنيفة ، يستحصل في المركز الكهربائي هناك الماء الثقيل الذي ساهم في اكتشاف القنبلة الذرية ، اذ لا يستلهم المرء من تلك الاماكن الا الهدوء والسكون والاطمئنان . وكثيراً ما يبدل مجرى التاريخ الافكار الهادئة التي تنقلها ارجل الحمامة البريئة .

* * *

الذكرى الاليمة : تركت زيارتي الى بلاد النرويج اثراً في نفسي لا ينمحي ، وقد عدت الى وطني وبلادي ، فكان اول شيء حدثت عنه زيارتي الى تلك المنطقة النائية . ولم يمض الا سنين قلائل حتى ترعرع لي طفل كانت عليه علائم الذكاء وسرعة البديهة ، فحدثته وهو في سن الخامسة عن تلك البلاد وأريته الصور التي عندي فاصبح اذا رأى بلاد النرويج في السينما عند عرض المناظر الطبيعية يعرفها ، ورغم حداثة سنه ، فقد تمكن ان يشاركني في كثير من الاحساسات التي كنت أشعر بها ، وسميته مصلحاً املا ان يكون من المساهمين في اصلاح امتنا العزيزة ، ولكن يالاسف قد عاجلته المنية وذهب ضحية التيفوئيد في مستشفى التونيان في حلب، كما يذهب آلاف الاطفال الابرياء في وطننا المفدى مثله، فذكرى تلك البلاد مقترنة بذكراه الاليمة ، وهو الآن يرقد رقاده الابدي في مقبرة اقيول في الشهباء على هضبة عالية تحت صخرة عاتية تذكرني بالصخور الجبارة الجرداء التي شاهدتها في شمال الكرة الارضية .

